International Journal of Innovation and Applied Studies
ISSN 2028-9324 Vol. 18 No. 1 Oct. 2016, pp. 107-130

http://www.ijias.issr-journals.org/

العناصر المعمارية في قلعة الحصن بحمص - سوريا (دراسة تحليلية)

Architectural elements in Krak des Chevaliers in Homs - Syria (Analytical study)

Mahmoud Ahmed Darwish

Professor of Islamic Archaeology,
Faculty of Arts - Minia University, Egypt

ABSTRACT: The Castle established in (1031) and occupied by the Crusaders (1099), and renewed by Mamluk Sultans Baybars (1171) and Kalawoon (1285).

Castle retains many of the architectural elements dating to the Seljuks, the Crusaders and Mamluks. Seljuk buildings consisting of the eastern entrance of the inner fortress and the emergence of the church, which was a tower, the tower in the north-west along fences between them, the fence south of the entrance until the south east tower. Castle planning has consisted of two fences by six towers and composed the outer wall of the entrance, which consists of two square towers and the corridor between them, entrance leads to cruciform planning Dorqa'a on its sides two corridors around the inner fence, the interface extending on both sides of the entrance to the north and south where it ends in the north tower represents the emergence of the Church is currently in the south was offset by another tower in the position of the south tower current-east, there were four towers in the north western and south western corners and mid of the western and southern fence.

Crusaders have started to expand and develop the castle; they added the outer fence and some towers. They built the church and ring the external fence and a sloping wall in the south, trench behind the southern façade, tower commander in the upper floor of the south-west tower, the knight's hall, the corridor and the defensive tower which is located in front of the northern entrance.

Baybars built: two towers on the south side, curtain stone western and southern walls of the circular towers and the fence the second procedure of the fort, the eastern section of it, featuring a stable and hall guard and the corridor to it, the hall to the east entrance to the inner fort and restoration and construction of outer walls and half circular towers and main entrance, the Sultan Qalawoon the construction of a rectangular tower outside the southern facade of the fence.

The research presents Analytical study of the architectural elements of the castle to highlight the historical stages and renovations by Seljuks, Crusaders and Mamluks, following descriptive and analytical approaches to identify the architectural elements for each period of the historical periods experienced by the castle.

KEYWORDS: Krak des Chevaliers, Homs, Fort of foot, Kurds fortress, Mamluk fortifications, Crusader castles.

ملخص: أنشئت القلعة عام (1031م)، واحتلها الصليبيون (1099م), وعمرها الظاهر بيبرس (1171م) والسلطان قلاوون (1285م). وتحتفظ بالعديد من العناصر المعمارية السلجوقية والصليبية والمملوكية، حيث تضم التحصينات السلجوقية المباني الواقعة بين المدخل الشرقي للحصن الداخلي وبروز الكنيسة الذي كان يمثل برجا والبرج الواقع في الشمال الغربي إلى جانب الأسوار بينها وكذلك قسم من السور جنوبي المدخل حتى البرج الجنوبي الشرقي، وكان التخطيط من حصن ذي سورين عليه ستة أبراج ويتكون السور الخارجي من المدخل المكون من برجين مربعين بينهما ردهة، ويؤدي المدخل إلى دور قاعة متعامدة على جانبيها ممران، وتمتد الواجهة على جانبي المدخل حيث تنتهي في الشمال ببرج يمثل بروز الكنيسة كان يقابله في الجنوب برج آخر في موضع البرج الجنوبي الشرقي، وكان يوجد أربعة أبراج في الزاويتين الشمالية الغربية والجنوبية الغربية ومنتصف السورين الغربي والجنوبي.

بدأ الصليبيون في توسيع القلعة، فأضافوا السور الخارجي وبعض الأبراج، والكنيسة وحلقة الدفاع الخارجية والجدار المنحدر في الجنوب والخندق خلف الواجهة الجنوبية، وبرج القائد بالطابق العلوي من البرج الجنوبي الغربي وقاعة الفرسان والرواق الذي يتقدمها والبرج الدفاعي عند المدخل الشمالي.

وقام الظاهر بيبرس بتشييد: برجين على الجانب الجنوبي، والساتر الحجري للأسوار الغربية والجنوبية والأبراج الدائرية والسور الثاني للحصن الداخلي، والقسم الشرقي منه ويضم الاسطبل وقاعة الحراسة والممر الواصل إليها، والقاعة الواقعة شرقي مدخل الحصن الداخلي وترميم وبناء الأسوار الخارجية والأبراج النصف دائرية والمدخل الرئيسي، وقام السلطان قلاوون بتشييد البرج المستطيل بالواجهة الجنوبية للسور الخارجي.

يهدف البحث إلى دراسة تحليلية للعناصر المعمارية بالقلعة لإبراز المراحل التاريخية والتجديدات السلجوقية والصليبية والمملوكية، متبعا المنهجين الوصفي والتحليلي لتحديد العناصر المعمارية لكل فترة من الفترات التاريخية التي مرت بها القلعة.

كلمات دلالية: قلعة الحصن، حمص، حصن السفح، حصن الأكراد، التحصينات المملوكية، القلاع الصليبية.

1 مقدمة

تقع مدينة حمص في منطقة منبسطة من الأراضي الخصبة في وسط سورية، وتميل ميلا خفيفا نحو مجرى العاصي وبساتينه، وهي مركز المحافظة المسماة باسمها، لعل أقدم موقع سكني في مدينة حمص هو تل حمص أو قلعة أسامة، ويبتعد هذا التل عن نهر العاصي حوالي (2.5كم)، (شكل1).

وقد أثبتت اللقى الفخارية أن هذا الموقع كان مسكونا منذ النصف الثاني للألف الثالث قبل الميلاد، ولقد ورد اسم حمص محرفاً في وثائق ايبلا المملكة السورية الشهيرة. كانت تسمى أيام السلوقيين إيميسا (Emessa) وسميت حمص بعد انتشار العربية. ويظهر التنقيب الأثري أن اسم حمص إيميسا ظهر متأخرا عن تاريخ قطنة وقادش القريبتين منها.



شكل 1. موقع حمص وقلعة الحصن

نشأت هذه المدينة في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، وكان اسمها في ذلك الوقت حماة صوبا وقد ورد في وثائق إيبلا، وتعاقب عليها الأموريون والحيثيون والفينيقيون والأراميون واليونان والرومان والبيزنطيون والعرب والأتراك. فقد دخلها الإسكندر (331ق.م) ودشن عهده بإعادة ترميم سد بحيرة قطينة، وبعد وفاته (323ق.م)، آلت المنطقة لسلوقس نيكاتور، فاحتلها البطالمة، ثم استعادها ابنه أنطونيوس سولاتا (262ق.م). ومع ذلك عاد البطالمة عدة مرات فحكموا حمص مع سورية الداخلية، وأُطلق على المنطقة ما بين العاصي والفرات اسم (Parapotamia)، أي شبه ما بين النهرين.

ومن الممكن أن تكون حمص نفسها قد تم تأسيسها على يد سلوقس الأول حيث يذكر الفيلسوف سترابون قبيلة تدعى بأميساني تعيش حول العاصي في جنوب أفاميا وقد صنفها الرومان قبيلة عربية.

وفي منتصف القرن (2ق.م) عهد الملك السلوقي إسكندر بالا بحماية ابنه، إلى جامبليق أحد زعماء القبائل بحمص. كما كان لأمير حمص شمسيغرام أثر حاسم في دعم أنطيوخوس الثالث عشر للوصول إلى تاج آبائه السلوقيين (69ق.م) ومن آثار تلك المرحلة كتابات باليونانية منقوشة على أحجار بازلتية تعلو مدخل جامع أبو لبادة [1]،[2]،[3]،[4].

وكانت في العصر الروماني مستعمرة هامة واسمها "إميسيا - إيميزا". وفي العصر اليزنطي حافظت أسرة شمسيغرام على مركزها السياسي والعسكري في حمص والرستن، وغدت صديقة لروما. ومع ذلك تعرض الأمير إسكندر بن شمسيغرام (جامبليق الأول) عام (31ق.م) إلى غضب ماركوس أنطونيوس الذي نفاه إلى روما ثم دبر اغتياله. ثم تولى السلطة جامبليق الثاني ثم شمسيغرام الثاني، الذي التقى أغريبا حاكم طبريا، وزوج ابنته لأخ هذا الحاكم، فشيد قصرا من ثلاثة طوابق على طريق طرابلس يدل على الثراء الفاحش، وبعد وفاته دفن في قبر هرمي الشكل خارج السور جنوبا، وتولى السلطة بعده ابنه عزيز ثم أخوه سهيم الذي عاصر نيرون. وانتهى أمر هذه الأسرة في القرن (1م) أيام الإمبراطور دوميسيان، لتبرز في القرن (2م) أسرة باسيانوس التي تولت كهانة معبد الشمس الكبير، واشتهر من أفرادها جوليا دومنا زوجة القائد الليبي الأصل سبتيموس سفيروس، والذي أصبح قائد جيش الدانوب وقاهر أعداء روما على حدودها الشمالية، ومن ثم إمبراطوراً لروما ومؤسسا لأسرة الأباطرة السيفيريين.

وقد استقبلت روما بالتبجيل أيام الإمبراطور إيلاغابال الحجر الأسود المنقول من معبد إله الشمس بحمص لكي يعبد إلى جانب أرباب روما، علما بأن الإمبراطور المذكور كان حتى عام (218م) كبير سدنة معبد الشمس في حمص. وصكت في عهده نقود ذهبية تحمل صورته من جهة وصورة الإله هليوغالوس على الوجه الآخر. عندما احتل بومبي سوريا (64ق.م) وقفت قبيلة أميساني إلى جانبهم واعترفت روما بقائدها شمسيغرام الأول كملك على حمص وكانت عاصمتها الرستن، وصلت مملكة حمص في عهد سلالة شمسيغرام إلى أقصى اتساعها حيث وصلت إلى وادي بعلبك غربا وتدمر شرقا وإلى الرستن شمالا ويبرود جنوبا.

وفي عهد ابن شمسيغرام الأول لامبليش أصبحت حمص عاصمة لمملكة حمص، وقد أثبت الحمصيون مرة أخرى ولاءهم لروما عندما أرسلوا جيشهم لنصرة يوليوس قيصر خلال حصاره على الإسكندرية (41ق.م)، خلال الحرب الأهلية التي نشبت في روما بين أوكتافيوس وماركوس أنطونيوس وقف لامبليش إلى جانب أوكتافيوس بينما ناصر أخاه أليكساس ماركوس انطونيوس الذي نجح في انتزاع العرش من شقيقه وقتله، ولكن مع انتصار أوكتافيوس في الحرب الأهلية تم إعدام أليكساس ونال لامبليش الثاني عرش والده. وفي عهد الملك سهم تم إرسال جيش من حمص لدعم الرومان في حصارهم للقدس عام (70م). وقد لعبت حمص دورا هاماً في التاريخ الروماني، حيث أصبحت بمثابة عاصمة لسوريا في عهد أسرة سيفيريوس، وقد عرفت أيضا بالأسرة السامية أو السورية أو الحمصية، حيث انحدر جل أفرادها من حمص، عدا مؤسسها الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس الذي تزوج من الحمصية جوليا دومنا ابنة الكاهن الأعظم لإله الشمس في حمص، وأنجبت جوليا دومنا ابنين هما كركلا وغيتا. انتهى عهد هذه الأسرة مع آخر أباطرتها الكسندر سيفيروس (208-235م). ويعرف من حمص أيضا الفيلسوف الحمصي لونجينوس مستشار الملكة زنوبيا والطبيب الشهير مارليان.

ومع انتشار المسيحية في حمص على يد القديس بطرس ويوحنا الإنجيلي أنشئت كنيسة أم الزنار في قبو للعبادة سرا عام (59م) وكنيسة بربارة (أرشائيا)، وفي عام (307م) تولى الحكم الإمبراطور قسطنطين، الذي اعترف رسميا بالمسيحية، وأمرت أمه هيلانة الحورانية المولد، ببناء كنيسة حمص [5]،[6]،[7]،[8]،[9].

تعرضت حمص للغزو الفارسي (540م)، أيام كسرى أنو شروان وكذلك فيما بين عامي (611-614م) أيام شهربرز الساساني، كما وصلت عام 12هـ (633م) طلائع المسلمين عقب معركة أجنادين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، ثم تراجعت إلى فلسطين للمشاركة بمعركة اليرموك. وبعد فتح دمشق عاد أبو عبيدة بجنده لفتح حمص ولكنه لم يدخلها هذه المرة بل اتفق مع أهلها على مبلغ كبير من المال يدفع لبيت مال المسلمين. إلا أن حاكم حمص هربيس نقض الاتفاق مع المسلمين بتحريض من هرقل، مما اضطر أبو عبيدة إلى العودة من شيزر لإخضاع حمص وقد تم له ما أراد ومعه خالد بن الوليد، وقد أمن المسلمون أهل حمص على أنفسهم وسور مدينتهم وكنائسهم باستثناء كنيسة القديس يوحنا التي حولت للمسجد الكبير. وفي حمص مقامات لكل من جعفر بن أبي طالب وكعب الأحبار وعمر بن عبد العزيز وأبي موسى الأشعري وميسرة ابن مسروق وأبي ذر الغفاري وعبد الرحمن بن عوف ورابعة العدوية وخالد بن الوليد، الذي تنتسب المدينة لاسمه. وقد وسع المسلمون بعد تزايدهم بحمص الجامع الكبير، وثاروا على مروان الثاني أيام الأمويين وعلى الأمين أيام العباسيين وعلى المتوكل أيضاً وكان ينتقم منها في كل مرة بتخريبها، وينتقم من أهلها بالقتل والتشريد.

وقد تبعت للحمدانيين في الفترة (924-1019م)، وكان أبو فراس الحمداني أحد ولاتها، وقد تعرضت للحرق والتدمير من قبل البيزنطيين في الأعوام (969-983-995-1002م) فخسرت حمص معظم مبانيها وأجمل قصورها ومعابدها، وقد تصارع عليها بعد الحمدانيين أمراء البادية من بين مرداس، الموالون للفاطميين من جهة، والسلاجقة والأتابكة من جهة أخرى، وقاومت حمص الصليبيين وخضعت لهم مرتين بين عامي (1116-1126م). وفي عام (1136م) تبعت حمص للزنكيين وأمست مركزا لجنودهم ومن ثم للأيوبيين (1147م)، ومن بعدهم للمماليك حيث جدد الظاهر بيبرس بناء جامع خالد بن الوليد. وقد تعرضت حمص لهجمات هولاكو في منتصف القرن (13م) وتيمورلنك في نهاية القرن (14م)، [10]، [11]، [12]، [13]، [14]، [15]، [16]، [17]، [18].

وصارت حمص أيام العثمانيين أحد الألوية الخمسة المرتبطة بطرابلس، وألحقت مع حماة بولاية الشام عام (1725م)، ثم آلت السلطة إلى إبراهيم باشا فيما بين (1832-1842م) وقد هدم أجزاء من قلعة حمص ليبني فيها مستودعا. وعاد العثمانيون عام (1866م) ليجعلوا من المدينة مركزاً لحكومة اللواء، ثم لتغدو بعد عام واحد قائممقامية تابعة لحماة [19]، [20]، [21]، [22]، [23].

2 قلعة الحصن

تعتبر قلعة الحصن من أهم القلاع السورية، [24]،[25]، [26]، (مولر، 1984). وتقع في منطقة استراتيجية مهمة تشرف على المنطقتين الوسطى والساحلية والبحر المتوسط. وتبعد عن مدينة حمص مسافة (60كم) الى الغرب منها، كما تبعد (35كم) عن الساحل السوري، وترتفع (750م) عن سطح البحر، وحوالي (140م) عن سطح الأرض المحيطة بها، وتحيط بهذا السهل سلسلتان من الجبال هما جبل الأنصارية في الشمال الغربي وسلسلة جبال لبنان في الجنوب الغربي.

وقد أقيمت القلعة في موقع استراتيجي يخوله مراقبة الممر الواسع بين الساحل والداخل الذي يوفر ممرا سهلا للجيوش المسلمة الآتية من حمص أو حماة، (منذ العصور القديمة، كانت الدروب المهمة تمر بهذا المحور)، [27]، وتشرف أبراجها العليا على مسافات واسعة وتسيطر على المعابر التي تؤدي إلى مصياف والقدموس والكهف وقلعة الخوابي في الجبال الساحلية وعلى طريق طرابلس.

تعد القلعة من أعظم قلاع العالم وأشهرها من حيث منشآتها الدفاعية ومواد بنائها وهندستها الفريدة التي تحمل مزيجا من حضارات الشرق والغرب، في تناسقٍ يبرز بوجه خاص كل المبادلات المهمة في الأسلوب بين الفن في الغرب والمشرق العربي، وخاصة في الأزمنة المتأخرة من الحضارة السورية في العهد الروماني وأوائل العصور الوسطى. كما تعد من أروع ما خلفته لنا العصور الوسطى من فن العمارة وتحصيناتها العسكرية.

تمتد القلعة مع خندقها لمسافة (240مترا) من الشمال إلى الجنوب و (170مترا) من الشرق إلى الغرب. وارتفاع السور مع المنحدر (26مترا) عدا الأبراج الضخمة، (مدفيدكو، 2002)، ورغم أن القلعة لم تبن دفعة واحدة ولم يكن لها طابع واحد - حيث جرى توسيعها مرات عديدة وتناولتها الأيدي بالترميم والتوسيع والتحصين - إلا أنها تعتبر واحدة من أفضل التحصينات رغم أنها ليست أكبر القلاع التي شيدت في الحروب الصليبية من حيث اتساع المنطقة المسورة إلا أنها أضخمها وتحوي العديد من التعديلات التي أدخلت عليها في العصر الإسلامي.

2. 1 تاريخ قلعة الحصن

تمثل شبتون أو الحصن حاليا بلدة قديمة في التاريخ أخذت اسمها من نهر الشبتي الذي يجري على سفوح هضبتها من الشرق بين سهل البقيعة جنوبا وقرى الكيمة والدغلة شمالا وهو وادي سيلي يجري في الشتاء ويجف صيفا وصولا إلى نبع الناصرية. وهي أكبر التجمعات السكنية المنتشرة حولها تبعت شبتون إداريا إلى لبنان في العهد العثماني وسميت معاملة الحصن وتبعت اللاذقية عندما قسم الفرنسيون سورية لدويلات والآن هي تابعة لحمص، وينتمي سكان شبتون الأوائل إلى أصول أرامية وبذلك يكون عمر هذه البلدة حوالي (3500 سنة) وبحكم موقعها المهم على الممر بين الساحل والداخل في منتصف الطريق بين طرطوس وطرابلس من الغرب وحمص من الشرق اكتسبت أهميتها التجارية والعسكرية.

يعود بناء القلعة إلى الألف الثاني قبل الميلاد عندما هاجم تحتمس الثالث سورية وكان الحيثيون يتمركزون في تل حثي الذي يقع على طرف سهل البقيعة وقد نصحه أهالي شبتون (أي الحصن) ببناء حصن مكان القلعة الحالية لمراقبة وتمركز المصريون وهذا هو أول عمل لبناء القلعة.

وهناك من يقول ان مكان هذا الحصن كان قلعة بناها رمسيس الثاني اثناء غزوه لسورية في القرن (15ق.م) وبعد موقعة بحيرة قادش (قطينة) مع الحيثيين، [28]، سميت قلعة شبتون، تطور الحصن بناء وعمرانا بعد أن أدركوا أهميته من كل النواحي. ويذكر بعض المؤرخين أن اليونانيين بنوا معقلا عسكريا في المنطقة الوسطى بين مدينتهم طرابلس وحمص وسماه اليونانيون "بيرغس" أي الحصن أو المعقل. وبعد انتقال سلطات الحكم من السلوقيين إلى الرومان، أصبحت حمص تابعة للإمبراطورية الرومانية الشرقية في سوريا حيث اتسعت المدينة وقلعتها. وهناك عبارة مكتوبة باللاتينية على أحد جدران القلعة تقول: "إذا مُنحت النعمة, ومُنِحت الحكمة وفوقها الجمال، لا تدع التعجرف يقترن بها لأنه يذهب بها جميعا". وفي الفترة السورية بالعهد البيزنطي، نشأت بقرب البرج قرية مسيحية أصبحت مركزا أسقفيا يتبع مطرانية حمص اسمها أسقفية الحصن، وذكرت في التاريخ الكنائسي في عهد امبراطور القسطنطينية لاون الحكيم سنة (883م)، [29]،[30].

أنشئت قلعة الحصن، (الجلاد، محمد وليد، 1990)، [31] في عام (1031م) في أيام الدولة السلجوقية على يد أمير حمص المرداسي، شبل الدولة نصر رأس الدولة المرداسية بحلب، يوم كان الحصن ضعيفا ويسمى حصن السفح، (مدفيدكو، 2002)، وقام بوضع حامية كردية من أكراد الموصل أقاموا فيه مع عائلاتهم، مقابل حماية الطريق الرئيسية التي تربط حمص بحماة وطرابلس [32]. وأصبح الحصن يعرف عند المؤرخين العرب حصن الأكراد.

وسميت باسم كراك (كراتوم) الفرسان أي قلعة الفرسان (كراك دي شفاليه - Krak – Cratum des chevaliers) عندما احتل الصليبيون القلعة عام (1099م) واستقروا فيها عام (1110م), وقدمها ريمون الأول حاكم أمارة طرابلس عام (1142م) إلى الرهبان الاسبتارية الحربية وفي عام (1157م) كان في القلعة (700) فارسا من خيرة الفرسان الاسبتارية عدا المشاة. (ابن القلانسي، 1975).

كان هذا الحصن أضعف من الصمود بوجه هجمات الصليبيين. وكاد منذ عام (496هـ/1102م) أن يسقط بيد أمير طرابلس الكونت ريمون دي صنجيل الذي فضل رفع الحصار عنه وشن الغارة على إقليم حمص إثر وفاة حاكمها جناح الدولة حسين بن ملاعب. وبعد الاستيلاء على طرابلس عام (502هـ/1109م) وقعت الموادعة بين الفرنجة وأتابك دمشق طغتكين، على أن يمتنع الفرنجة عن أي عمل عدواني على الحصن مقابل غرامة. ولكن في عام (503هـ/1110م) قام تانكريد (Tancrède) أمير أنطاكية بالاستيلاء عليه إثر هجوم بقوات ضخمة لم تواجه بغير مقاومة ضعيفة.

وعندما بدأ الأوروبيين بتجهيز حملات إلى منطقة بلاد الشام من أجل السيطرة على بيت المقدس تحت دعوة البابا أوربان في مجمع كليرمونت (1098م) أدت إلى خروج حملات لحماية المسيحيين في بلاد الشام وبدأ الفرنجة بالتوافد وتأسيس إمارات متعددة من إنطاكية حتى القدس. ونظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي فقد تم تسليم القلعة إلى ريمون دي صنجيل حيث بدأ بالتفكير في توسيع هذا الحصن وتطويره، وبناء عدة أقسام رئيسية فيه، حيث عدلوا في بنائه ووسعوه ليخدم أغراضهم العسكرية.

وفي عام (1142م) قام ريموند الثاني أمير طرابلس بتسليم القلعة إلى فرسان القديس يوحنا المعروفين بالإسبتارية أو فرسان المشفى، [33]، [34]. كما تم تسميتها فيما بعد فرسان مالطا ومنذ ذلك الحين بدأ المكان يعرف باسم حصن الفرسان، ولكن ما أن أصبح بيد الاسبتالية حتى أصبح موقعا إستراتيجيا من الدرجة الأولى بالنسبة إلى الصليبيين. حيث بنوا قلعة حصينة، وأعاد الإسبتارية بناء الدفاعات الجديدة والأقسام الرئيسية في القلعة، ولم يضيفوا لها سوى السور الخارجي وبعض الأبراج. فقد كانت القلعة - نظرا لأنها تقع على طريق الحج إلى القدس أو الأرض المقدسة - عبارة عن سكن لعدد من الفرسان من أجل أن يقوموا بتزويد الحجاج بالمؤن اللازمة، وكانت تتسع لحوالي أربعة آلاف جندي وأربعمائة فارس وحصان وكانت المؤن تكفي حوالي خمس سنوات للفرسان داخل القلعة.

بدأ الطور الثاني من إعمار القلعة بعد الأضرار البالغة التي ألحقها بها زلزال عام (1157) حيث يعود تاريخ الكنسية التي بنيت داخل القلعة. وقد وقع في عام (1170) زلزل جديد دمر القلعة وهدم الأسوار، ثم لم يلبث الفرنجة أن يعيدوا بناءها وبناء الكنيسة في الحصن. وقد خرج راي [24] بانطباع بأن الاسبتالية لم يستكملوا التحصينات التي قصدوا بناءها. وفي الحقيقة، يبدو أن معاهدة عام (626هـ/1229م)، بين الإمبراطور فريدريك الثاني والمالك الكامل، تدعم فكرة راي لأن المعاهدة لم تشملهم بينما تعهد الإمبراطور على عدم توسيع تحصينات حصن الأكراد [35].

ولكن وضع الصليبيين كان يتقهقر بالتدريج، رغم ذلك لم يتمكن السلطان نور الدين ولا صلاح الدين من الاستيلاء عليه على الرغم من رغبتهما الكبيرة في ذلك، لأن الاسبتالية كانوا من هناك يسببون الضرر الكبير للمسلمين ويجبرون حكام حماة وحمص على دفع أتاوات كبيرة. وكانوا كلما تردى وضع الصليبيين كلما عمل الاسبتالية على تعزيز تحصينه. وبعد أن فتح صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس عام (583هـ/1187م) بدأ بتحرير عدد من القلاع والحصون وذلك أثناء مرور جيشه لاستعادة الساحل السوري دون أن يفلح في تحريرها.

وفي عام (1202م) حدث زلزال ثالث مدمر أحدث أضرارا كثيرة حيث بدأ طور ثالث من أعمار القلعة نتجت عنه حلقة الدفاع الخارجية والجدار المنحدر الضخم في الجنوب والمستودع الكائن خلف الواجهة الجنوبية وفي هذه الفترة لعبت القلعة دورا بالغ الأهمية كقاعدة هجومية لغارات الاستبارية ضد الأراضي القريبة. وفي تواريخ عدة (1207-1218-1229-1252م) تعرضت القلعة لهجمات حكام حلب. فقد حاول أحد أشقاء صلاح الدين عام (1206م) احتلال القلعة دون جدوى.

وقد تم البدء في بناء برج القائد في الطابق العلوي عام (1230م)، كما تم في عام (1250م) إنشاء صالة الفرسان التي تتضمن قاعتين وقاعة أخرى دائرية في الطابق الثاني من برج القائد في جنوب غرب الحصن. وفي عام (1255م) تم تشييد البرج الدفاعي المتقدم عند المدخل الشمالي للقلعة.

وفي عام (1267م) وبعد أن أخليت معظم الأراضي الواقعة إلى الشرق من القلعة من يد الفرنجة تحت تهديد جيش الملك الظاهر بيبرس ولكنه عندما علم بخبر وفاة لويس التاسع ملك فرنسا عام (669هـ/1270م)، أعد حملة واسعة على فرسان الاسبتالية. وشن السلطان بيبرس أول هجوم على منطقة الحصن ذاتها واستولى على قلاع ثلاث وستة عشر برجا محصنا في الجوار، وفي عام (668هـ/1270م) قصد حصن الأكراد، ولكنه لم يمتلك الجرأة بعد على الشروع بحصاره. وبدأ حصار القلعة حيث اضطرت للاستسلام تحت وطأة آلات الحصار والمدفعية بأعداد كبيرة، واستلم الفرسان في مقابل خروجهم إلى طرابلس.

وقد غادر بيبرس القاهرة في عام 669هـ (1271م)، (ابن القلانسي، 1975). وظهر أمام حصن الأكراد وتم الاستيلاء على ضواحي الحصن، وبرج مدخل السور الثاني، والبرج الثالث الذي يحمي مقدمة الحصن [36]. وكلف حاكمها الجديد صارم الدين قايماز بأعمال إصلاح واسعة النطاق حيث شيد فيها برجين على الجانب الجنوبي. وأعطت هذه التجديدات إلى القلعة شكلها الحالي، وجرت أشغال لتدعيم التحصينات وشيدت أبراج دائرية جديدة وسور ثان في الغرب. حيث قام الظاهر بيبرس بترميم ما تصدع وتهدم من السور الخارجي والمدخل الرئيسي، وسجل ذلك بنص كتابي على هذا البرج نصه: بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد هذا الحصن المبارك في عهد دولة مولانا السلطان الملك الظاهر بيبرس العالم العادل المجاهد المظفر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس قصيم أمير المؤمنين وذلك نهار الثلاثاء 25 شعبان الموافق 669هـ" (1271م).

وفي عام (1285م) تم تسليم القلعة من الظاهر بيبرس إلى الملك قلاوون وتم تشييد البرج المستطيل الضخم البارز عن الواجهة الجنوبية للسور الخارجي للقلعة، وفي أيام السلطان المالك الناصر محمد، تم ترميم متراس كان قد دمرته أمطار جارفة، وتم بناء مأذنة للجامع، وتحولت القلعة إلى مجرد ثكنة حتى الحقبة العثمانية،

وأهملت إهمالا كبيرا حيث بنيت بداخلها منازل وسكن أهالي القرية المجاورة ومكثوا فيها قرابة قرنين وبنوا فيها بيوتا على أسطح الأبراج وقسموا القلعة لعدة حارات وأصبحت القلعة عبارة عن قرية صغيرة وامتدت إقامة السكان فيها حتى عام (1927م).

وفي (1857) قام عالم الآثار (Guillaume Rey) الفرنسي بأول دراسة أثرية عن القلعة، وفي عام (1927) قامت البعثة الأثرية الأولى بقيادة (Paul Dechamps) بالعمل على ترميم القلعة ونشر أول دراسة عنها عام (1934)، وسميت باسم قلعة الحصن، وقد بقيت حتى اليوم آثار محدودة جدا من الحصن الكردي الأساسي الذي شيد في العام (1031م) ووما قام به الصليبيون بعد زلزال عام (1170م) حيث أعاد فرسان القديس يوحنا تشييد الحصن بشكل شبه كلي.

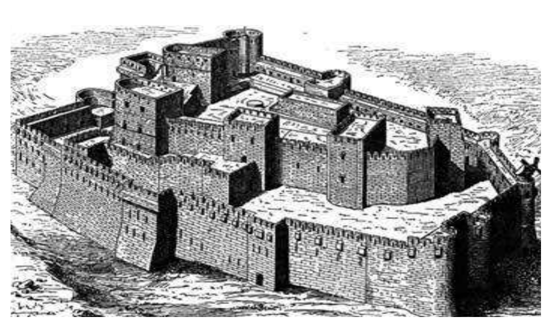
2 .2 وصف القلعة

استخدم الحجر كبير الحجم لتشييد كافة مباني القلعة، وكانت الأحجار الكلسية تجلب من مسافة (4كم) من بلدة مجاورة تدعى عمار الحصن. ويتميز الحجر الكلسي بأنه طيع أثناء النحت وخفة الوزن، وهي واحدة من أفضل نماذج التحصينات الفرنجية في المشرق حيث توجد قناة مائية قدت في الصخر وتعزل القلعة عن الجرف الممتد باتجاه الجنوب وهي تتألف من حلقتين متحدتين المركز من التحصينات موصولتين بمدخل طويل منحدر [37].

القلعة (شكل2) مؤلفة من سورين السور الخارجي [38]، [39]، ويتألف من ثلاثة عشر برجا دفاعيا بعضها نصف دائري والبعض الاخر مستطيل وحامية للسور الداخلي، أما السور الداخلي فمكون من خمسة أبراج وهي الأبراج الأساسية للقلعة الداخلية وهناك خندق مائي يفصل بين السورين الداخلي والخارجي يبلغ طوله قرابة (70م). ويوجد فناء أمامي داخل الحلقة الخارجية للتحصينات وفي الجنوب توجد قناة مائية عميقة قدت في الصخر كانت تستخدم كذلك كخزان للمياه (لوحة 1-2).



لوحة 1. قلعة الحصن من الجنوب الشرقي



لوحة 2. قلعة الحصن من الشرق

ويعتبر الحصن الداخلي قلعة قائمة بذاتها فوق قاعدة صخرية مرتفعة. ولهذا الحصن ثلاثة أبواب مفتوحة على الخندق يمتاز بأبراجه العالية ذات الطّبقات المتعددة وأسواره السميكة المدعومة من الخارج بالجدران المائلة التي تقاوم الزلازل والمهاجمين. أما الحصن الخارجي فهو السور الخارجي ويتألف من عدة طبقات فيها القاعات والإسطبلات والمستودعات وغرف الحرس ومزود بثلاثة عشر برجا بعضها دائري وبعضها مربع ومستطيل، وهو أيضا محاط بخندق ومدعوم بالجدران المائلة، وغالبا ما وصف كتاب الحوليات المسلمون والمسيحيون في العصور الوسطى حصار حصن الأكراد [24]، [40]، [30]، [31].

ولكن المصدرين الأساسيين اللذين نعرض نصوصهما فهما ابن شداد والنويري، يتحدث ابن شداد عن أسوار ثلاثة، بينما ليس للحصن غير سورين أساسيين، ولعله قصد بالثالث الرواق المقبب المؤدي من السور الأول إلى الثاني، وهو يستعمل عبارة الباشورية ليشير إلى الأبراج الثلاثة التي تحمي المداخل الثلاثة، [42].

الحصن الخارجي هو السور الخارجي للقلعة وهو حصن قائم بذاته، يتألف من عدة طوابق. فيه القاعات والاصطبلات والمستودعات وغرف الجلوس. مزود بثلاثة عشر برجا بعضها دائري وبعضها مربع أو مستطيل، وهو محاط بخندق، [43]، [44]، [45]، [46]،[47].



شكل 2. تخطيط قلعة الحصن

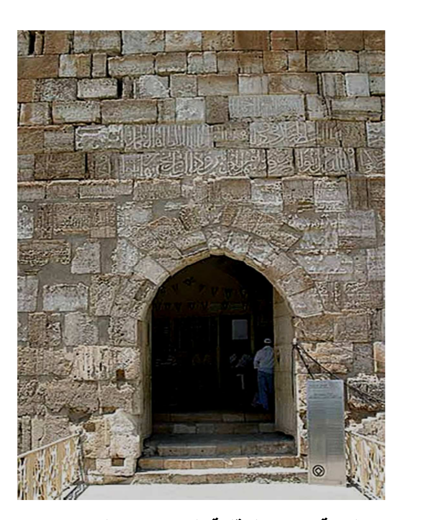
1. *الباب الرئيسي*
2. *غرفة الحرس المملوكية*
3. *الإسطبل الأول للخيل*
4. *برج الربط بين السورين*
5. *مدخل الحصن الداخلي*
6. *مدخل لحصن الداخلي*
7. *ساحة داخلية*
8. *الكنيسة*
9. *رواق قاعة الفرسان*
10. *قاعة اجتماع الفرسان*
11. *المطبخ*
12. *الحمامات*
13. *الفرن*
14. *مخازن مؤنة*
15. *برج الفرسان*
16. *برج قائد القلعة*
17. *برج الظاهر بيبيرس*
18. *برج دفاعي للسور الجنوبي*
19. *برج الظاهر بيبيرس*
20. *أسوار داخلية مائلة دفاعية*

السور الشرقي: يحرس البوابة الثانوية الصغيرة في الواجهة الشمالية حصنان بارزان ملاصقان لهما تماما، أما الواجهة الشرقية فقد عدلت كثيرا تحت الحكم العربي ويحرس هذا الجناح ثلاث حصون بارزة مستطيلة الشكل صغيرة يحوي إحداها المدخل الرئيسي. ومن الصعب الكلام عن وجود تحصينات متقدمة مصنوعة من الخشب والتراب لحماية مدخله، كما اعتقد البارون راي (Rey)، [24]، وعلى أية حال لم يبق منها أي أثر، [48].

يقع المدخل الرئيسي للقلعة (لوحة 3-4-5-6) في منتصف الجانب الشرقي وكان يدخل اليه في الماضي بواسطة جسر متحرك وتعلو الباب الرئيسي كتابات عربية تشير الى تجديده من قبل السلطان المملوكي الظاهر بيبرس، والمدخل محصن بالمزاغل لرمي السهام والسقاطات لصب الزيت والقطران، حيث يؤدي إلى ردهة ذات تخطيط متعامد تتصدرها حجرة للحراسة وعلى الجانبين ممران مسقوفان بأقبية متقاطعة ومزودين بالمزاغل وينحرف الداخل يسارا إلى الدهليز الجنوبي الذي يصعد تدريجيا بدرجات عريضة حيث يفضي إلى ممر مزود بالمزاغل يؤدي إلى حجرة الحراسة المملوكية التي تتخذ تخطيطا إيوانيا مكونا من درقاعة وإيوانين على جانبيها ويتصدر الدرقاعة مزغل بينما يوجد بكل إيوان مزغلان واحد بكل جانب. وهناك ممر يتقدم حجرة الحراسة المملوكية يؤدي جنوبا إلى حجرة أخرى في جنوبها الأسطبل وفي غربه ممر ينتهي بمدخل إلى الحصن الداخلي وفي جنوبه البرج المحصور بين السورين الخارجي والداخلي.



لوحة 3. مدخل قلعة الحصن من الشرق



لوحة 4. مدخل قلعة الحصن من الشرق





لوحة 5. مدخل قلعة الحصن من الشرق



لوحة 6. الدرج وجزء من الجدار الشمالي الشرقي

يقع القسم الشرقي من السور في شمال وجنوب المدخل ويتكون من جدارين بينهما ممر والجدار الخارجي مزود بالمزاغل ويتقدم كل منها باب إلى الممر بحيث يمثل الممر سقيفة تتقدم الجدار الخارجي وقد أقيمت قاعة في الشمال بها خمسة مداخل إلى الممر وتنقسم هذه القاعة إلى خمسة أقسام بينها أكتاف تحمل عقودا.

أما القطاع الذي تعرض لأكبر تعديل في العصر المملوكي هو الواجهة الجنوبية الدفاعية للقلعة وبالأصل كانت مؤلفة من سور واق تحميه حصون بارزة نصف دائرية وشرفة مكواة متواصلة، ويقع على السور الجنوبي برجان أقامهما الظاهر بيبرس وكل منهما نصف دائري يضم ثلاثة مزاغل ويقع البرج الأول في الشرق أما الثاني فيقع في الزاوية الجنوبية الغربية وبينهما برج مربع أقامه السلطان قلاوون عام (1285) ويعلو البرج صف من الكوابيل الحجرية التي كانت تحمل السقاطات.

أما المسافة بين برج السلطان قلاوون والبرج الجنوبي الغربي فتوجد بها القناة التي كانت توصل المياه إلى الخندق الواقع بداخل القلعة بين السور الخارجي والحصن الداخلي، وهي تقوم على عقود مدببة ترتكز على دعامات وبكوشات العقود نوافذ ذات عقود مدببة (لوحة 7).

أما السور الغربي (لوحة 8) فيقع عليه خمسة أبراج نصف دائرية بكل منها ثلاثة مزاغل وبين الأبراج دخلات ذات مزاغل. ومن المرجح أن تكون هذه الأبراج من عهد الظاهر بيبرس حيث يضم كل منها ثلاثة مزاغل وتعلوها كوابيل حجرية تشبه برجي الظاهر بيبرس في الجنوب وبرج السلطان قلاوون، أما السور المحصور بين الأبراج فيضم مزاغل وتعلوه سقاطات حجرية وهذه السقاطات تشبه مثيلاتها التي تعلو المدخل، كما أن الكوابيل الحجرية على السور الغربي والأبراج المملوكية كانت عليها سقاطات أيضا وكل سقاطة محمولة على ثلاثة كوابيل وبين السقاطات فتحات السهام، كما أن الأحجار التي بنيت بها الأبراج تشبه الأحجار التي بنيت بها الأبراج المملوكية.



لوحة 7. السور الجنوبي وبرجا بيبرس وقلاوون والقناة



لوحة 8. أبراج السور الغربي الخارجي

وهناك تشابه بين هذا الجزء من السور وأسوار قلعة رشيد حيث الأبراج التي تتكون من ثلاثة مزاغل كما أن السور الواقع بينها يضم مزاغل ويتقدم السور من الداخل سقيفة مما يدل على أن السور كان من أكثر من طابق ويقوم القبو الذي يغطي السقيفة على دعامات كما هي الحال بقلعة قايتباي برشيد، كما أن السور يعلوه ممر مكشوف تحدده جدران بها سقاطات بينها فتحات لرمي السهام. وفي الجدار الشمالي برجان نصف دائريان بكل منهما ثلاثة مزاغل (لوحة 9).

الحصن الداخلي: [49] هو قلعة قائمة بذاتها فوق قاعدة صخرية مرتفعة يحيط بها خندق يفصلها عن السور الخارجي، أما الخندق المحيط به فمحفور في الصخر يعزله عن السور الخارجي، سلطت عليه أقنية تحمل إليه مياه الأمطار. والجدران الخاصة بهذا القسم مائلة من الجزء السفلي في الجنوب والغرب وجزء من الجدارين الشمالي والجنوبي (لوحة 10)، والحصن محاط بأسوار مزدوجة بينها ممر وزود الجدار الخارجي بالمزاغل ولهذا الحصن ثلاثة أبواب مفتوحة على الخندق، ويمتاز بأبراجه العالية، ويتألف من طابقين الأرضي ويضم فسحة سماوية تحيط بها الأقبية والعنابر وقاعة الاجتماعات، والكنيسة والمطعم والحجرات والمعاصر. والعلوي ويحتوي على أسطح مكشوفة وحجرات إقامة الجنود وأبراج.



لوحة 9. السور الغربي من الداخل

لوحة 10. الحصن الداخلي

والبوابة الرئيسية تتصل بباب القلعة الخارجي بواسطة دهليز طويل ينحدر تدريجيا حتى الباب مؤلفا منعطفا دفاعيا في منتصفه، ويقع المدخل في منتصف الجانب الشرقي وعلى جانبيه برجان مربعان يضم كل منهما حجرة مربعة للحراسة ويؤدي المدخل إلى درقاعة على جانبيها دخلتان تنتهي غربا بقسم مكشوف، وكان يقع على جانبي الدرقاعة ممران مسقوفان بعقود متقاطعة، وتمتد الواجهة على جانبي المدخل شمالا وجنوبا حيث يوجد ثلاثة مزاغل بكل قسم وتنتهي في الشمال ببروز نصف مثمن يمثل بروز الكنيسة.

تنتصب الواجهة الجنوبية الرئيسية للقلعة العلوية ابتداء من الخندق مباشرة وهي تتألف من ثلاثة أبراج نصف دائرية ضخمة تشرف على الدفاعات الخارجية وتبدو كأنها تبرز بصورة طبيعية عن الساتر الحجري الشديد الانحدار، وخلف الساتر المكسو بشكل رائع توجد شرفتان وقاعتان مقنطرتان يتم الوصول إليهما من الغرف الكبيرة الموجودة فوق الطابق الأرضي للقلعة العلوية، وتضم الأبراج الثلاثة كلها غرفا ذات أسقف من أقبية متقاطعة.



لوحة 11. برج الفرسان وبرج القائد



لوحة 12. برج الفرسان والبرج الجنوبي الشرقي

أما برج الفرسان (لوحة 11-12) فيتم الوصول إليه من أعلى المخازن ويقع في منتصف السور الجنوبي للحصن الداخلي، وللبرج مدخل معقود بعقد مدبب على جانبيه نافذتان وبالطابق الثاني نافذة مزدوجة تتكون من نافذتين مستطيلتين مستطيلتين يعلوهما عقد عاتق نصف دائري أما الطابق الثالث فيضم نافذتين مزدوجتين تتكون كل منما من نافذتين مستطيلتين يعلوهما عقد عاتق ضحل.

أما البرج الجنوبي الغربي (لوحة 13-14) الذي يحوي غرفة حسنة التجهيز تعرف باسم مأوى السيد (Logis du maitre) والذي كان خاصا لقائد القلعة فيصعد إليه من سطح السور الواقع غربي حصن الفرسان ويتكون من طابقين يتم الوصول إليهما بسلم مروحي والأبواب والنوافذ بعضها يعلوه عتب مستقيم كما في الطابق الأول أو عقود مدببة كما في الطابق الثاني ويشرف هذا البرج على برج الظاهر بيبرس بالزاوية الجنوبية الغربية من الحصن الخارجي وكذلك على برج السلطان قلاوون.



لوحة 13. برج القائد

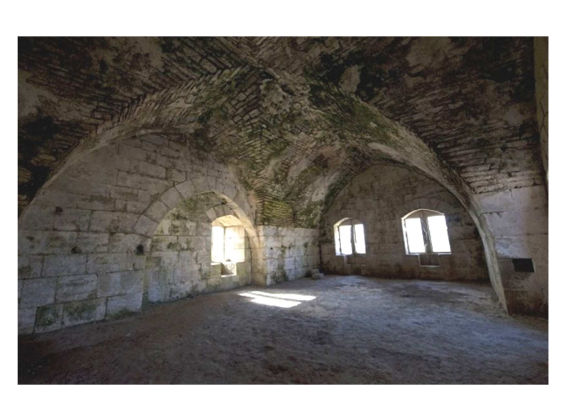


لوحة 14. المسافة بين برج القائد وبرج الظاهر بيبرس

أما البرج الجنوبي الشرقي (لوحة 15-16) فله أبواب على السطح الخاص بالمخازن والقاعة المحصورة بينه وبين برج الفرسان والسور المحصور بين البراج مزود بالمزاغل وبين برج الفرسان والبرج الجنوبي الشرقي قاعة ذات عقد مدبب مفتوح على سطح المخازن ويصعد إلى أعلاها بسلم من أمام مدخل برج الفرسان. أما السور الغربي من الحصن الداخلي ففي منتصفه برج نصف دائري (لوحة 17) وله مدخل مدبب كان يقع أعلى السطح الواقع غربي قاعة الفرسان، ويبدو أن هذا البرج أضيف على مراحل متعددة.



لوحة 15. البرج الجنوبي الشرقي من الحصن الداخلي



لوحة 16. داخل البرج الشرقي من الحصن الداخلي



لوحة 17. البرج الجدار الغربي من الحصن الداخلي



لوحة 18. الركن الشمالي الشرقي من الحصن الداخلي

أما الجزء الشمالي من الحصن الداخلي (لوحة 18-19-20) فيقع عليه برج في الزاوية الشمالية الغربية فيتكون من ثلاثة طوابق تتميز واجهة الطابق الأول بوجود ثلاث دخلات معقودة بعقود مدببة يعلوها صفان من العقود العاتقة المغيبة في الحائط يتكون كل صف منها من ثلاثة عقود ويعلو ذلك اثنتي عشر فتحة معقودة تضفي روعة خاصة على الواجهة الخارجية. والجزء السفلي من الدخلات مائل للخارج حتى يستوي مع الوجه الخرجي للبرج، ويوجد غربي البرج جدار مائل يستمر جنوبا، [50]، [51]، [52]. ويجاور هذا البرج نحو الشرق مدخل إلى الحصن الداخلي (لوحة 21) كما نجد صفين من المزاغل، وكان السور يتكون من طابقين يتقدم كل منهما ممر مقبي يقوم على دعامات، وفي الشرق يبرز الجزء الناتئ من الكنيسة فوق مستوى السور من الناحية الشرقية والذي يشكل نصف مثمن يبرز منه ثلاثة أضلاع وبه نافذة يعلوها مزغل. وفي جنوب بروز الكنيسة يقع المدخل الرئيسي الذي يتوسط الجدار الشرقي من الحصن الداخلي. ونستطيع أن نؤكد أن القسم المحصور بين المدخل والبرج الذي يتوسط الجدار الغربي هو الأقدم وأنه يعود إلى الفترة السلجوقية لتأثره بالأساليب البيزنطية.



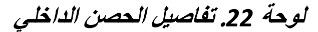
لوحة 19. برج بنت الملك



لوحة 20. المنطقة الشرقية للحصن الداخلي والمدخل

تقع الساحة الداخلية المكشوفة (لوحة 22-23) في منتصف الحصن الداخلي وتتخذ تخطيطا مثلثا تقريبا قاعدته جنوبا حيث نجد في شرقها قاعة لإقامة الجنود وسلم يصعد إلى أعلى المخازن، وفي الشمال الشرقي الكنيسة التي تحولت إلى مسجد وفي الغرب قاعة الفرسان التي يتقدمها رواق ويتصدرها جناح يعرف بقاعة الاجتماعات أو القاعة الكبرى التي يتم فيها استقبال الفرسان للملوك الصليبيين. أما في الجنوب فتقع المخازن وأماكن إقامة الجنود.




لوحة 22. تفاصيل الحصن الداخلي



لوحة 23. الساحة التي تتوسط الحصن الداخلي

أما قاعة الفرسان (لوحة 24-25-26-27-28-29) فهي مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب ويتقدمها رواق يطل على الساحة حيث يوجد مدخلان يكتنفهما نوافذ يبلغ عددها خمس مزدانة بالأعمدة والعقود المنحوتة على الطراز القوطي وهي مثال رائع لفني العمارة والزخرفة القوطيين، وسقف القاعة والرواق مقام من عقود مدببة متشابكة ومتقاطعة تقوم على أظافر مندمجة بالجدار بمنتصف الدعامات تمثل عناصر نباتية.



لوحة 24. قاعة الفرسان وبرج بنت الملك



لوحة 25. الساحة وقاعة الفرسان



لوحة 26. مدخل إلى القاعة الكبرى



لوحة 27. سقف رواق قاعة الفرسان

وقد كانت النوافذ في الأصل ست ألغيت الجنوبية بعد إقامة المدخل الخاص بالقسم الواقع خلف القاعة والذي يضم المطبخ والحمامات (لوحة 27) والفرن، والذي يتضح أنه مضاف حتى أن عقده تجاوز مستوى واجهة الرواق كما ارتكز جنوبا بعيدا عن نقطة ارتكازه المفترضة أعلى فتحة العقد ومن ثم فقد تم إلغاء النافذة السادسة من واجهة الرواق. وقد كانت قاعة الفرسان أعلى ارتفاعا من الرواق، لذلك فقد كان يوجد طابق آخر أعلى الرواق كان يصعد إليه من الجنوب حيث يوجد باب معقود في منتصف الجدار الجنوبي.




لوحة 28. قاعة الفرسان



لوحة 29. نافذة برواق الفرسان

وفي جنوب الساحة نجد حجرات الحراسة والمخازن وفي جنوبها مخازن المؤن وبرج الفرسان وبرج القائد، وخلف القاعة والمخازن ممر مقبي يضم في الشمال الحمامات وفي الوسط المطبخ وفي الجنوب فرن دائري لصناعة الخبز وقاعات لنوم الجنود، وكانت الحمامات تضم أحواضا نصف بيضاوية من الرخام أعلاها قطعة رخامية بها ثقبان لتزويد الحوض بالماء الحار والبارد (لوحة 31-32).



لوحة 30. الكنيسة التي تحولت إلى المسجد

لوحة 31. المنبر بالمسجد

أما الكنيسة فتقع في الجهة الشمالية الشرقية ويتمثل تخطيطها في بلاطة مستعرضة مقسمة إلى ثلاثة أقسام بواسطة عقدين وكانت شرقية الكنيسة بارزة نحو الخارج شرقي البرج الشمالي الغربي للحصن الداخلي بشكل نصف مثمن وبها نافذة يعلوها مزغل وبالجدران دخلات نفذ بأوسطها في الجنوب محراب عندما تم تحويل الكنيسة في العهود الإسلامية إلى مسجد ووضع بجواره منبر حجري ذو جوسق تعلوه قبة تقوم على أربعة أعمدة وللمنبر خمس درجات، وتزين العقود بعض الجامات التي تضم رسوما قديمة بالفرسكو تمثل مراوح نخيلية ترجع إلى ما قبل تحويل الكنيسة إلى مسجد (لوحة 32-33-34).



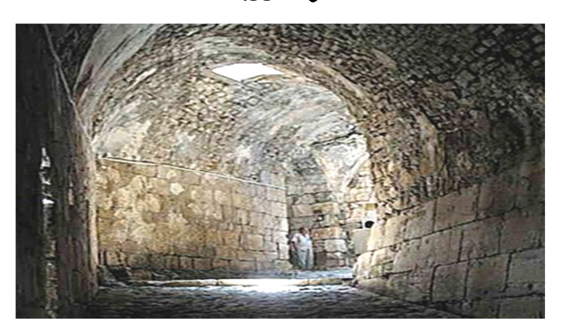
لوحة 32. زخارف فرسكو داخل الكنيسة



لوحة 33. حمامات القلعة



لوحة 34. تفاصيل الحمام



لوحة 35. سرداب الدخول إلى القلعة

وكانت السراديب والممرات داخل القلعة طويلة تعلوها أقبية مدببة من الحجر الغير منتظم (لوحة 35-36-37) وهناك ممرات تعلوها أقبية متقاطعة (لوحة 38-39-40)، كما كان يعلو درقاعات الأبراج قباب ضحلة (لوحة 41).



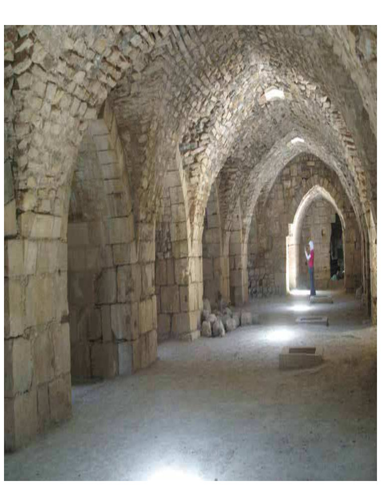
لوحة 36. أحد الممرات بالحصن الداخلي



لوحة 37. ممر مقبي



لوحة 38. ممر بالحصن الداخلي تعلوه أقبية متقاطعة



لوحة 39. اممر بالحصن الداخلي تعلوه أقبية متقاطعة



لوحة 40. الممر المتجه إلى الجزء المركزي من القلعة



لوحة 41. قبة تعلو أحد الأبراج

3 الدراسة التحليلية

شيدت القلعة على عدة مراحل:

3. 1 العصور القديمة

يعود بناء القلعة إلى الألف الثاني قبل الميلاد في عهد تحتمس الثالث، وفي أيام رمسيس الثاني تطورت بناء وعمرانا وسميت قلعة شبتون، وعمرها اليونانيون وأطلقوا عليها "بيرغس" أي الحصن أو المعقل.

3. 2 العصر السلجوقي

أنشئت القلعة السلجوقية في عام (1031م) وسميت حصن السفح وهناك قسم من الأبنية المشيدة في حصن السفح باق في القلعة الحالية ويضم المباني الواقعة بين المدخل الشرقي للحصن الداخلي وبروز الكنيسة الذي كان يمثل برجا، والبرج الواقع في الشمال الغربي إلى جانب الأسوار الواقعة بينها وكذلك قسم من السور الواقع جنوبي المدخل حتى البرج الجنوبي الشرقي من الحصن.

وكان تخطيطها مكونا من حصن ذي سورين يبلغ الفاصل بينهما عشرة أمتار ويقع عليه ستة أبراج ويتكون السور الخارجي من المدخل الذي يتكون من برجين مربعين بينهما ردهة مقبية ويضم البرجان حجرتين للحراسة وكان الباب الذي يغلق الحصن ينزلق رأسيا، يؤدي المدخل إلى درقاعة متعامدة التخطيط على جانبيها ممران مسقوفان بأقبية متقاطعة يلتفان حول السور الداخلي وبهما مزاغل.

وتمتد الواجهة على جانبي المدخل شمالا وجنوبا بطول (33م) حيث نجد ثلاثة مزاغل بكل قسم وتنتهي في الشمال ببرج يمثل بروز الكيسة حاليا وكان يقابله في الجنوب برج آخر في موضع البرج الجوبي الشرقي الحالي، وقد كان يوجد برج ثالث في الزاوية الشمالية الغربية والزاوية الجنوبية الغربية وبرجان في منتصف السورين الغربي والجنوبي. ونلاحظ أن المزاغل كانت بدون دخلات ولكنها لا تعدو أن تكون فتحة ضيقة من الخارج واسعة من الداخل، وهذا يختلف عن مزاغل الصليبيين والمماليك على حد سواء حيث نفذت المزاغل بدخلات.

3. 3 التجديدات الصليبية

في عام (503هـ/1110م) بدأ الصليبيون في توسيع القلعة وتطويرها، وبناء عدة أقسام رئيسية فيها، حيث عدلوا في بنائها ووسعوها لتخدم أغراضهم العسكرية. وفي عام (1142م) بدأوا ببناء الأقسام الرئيسية ولم يضيفوا لها سوى السور الخارجي وبعض الأبراج. وفي عام (1157م) تم بناء الكنيسة.

وفي عام (1202م) بدأ طور ثالث من أعمار القلعة نتجت عنه حلقة الدفاع الخارجية والجدار المنحدر الضخم في الجنوب والمستودع الكائن خلف الواجهة الجنوبية، وقد تم البدء في بناء برج القائد في الطابق العلوي عام (1230م)، كما تم في عام (1250م) إنشاء قاعة الفرسان (27×7.5م) والرواق الذي يتقدمها وقاعة أخرى دائرية في الطابق الثاني من برج القائد في جنوب غرب الحصن. وفي عام (1255م) تم تشييد البرج الدفاعي المتقدم عند المدخل الشمالي للقلعة.

لقد كانت قلعة الحصن (حصن الأكراد) بسوريا واحدة من أفضل نماذج التحصينات الفرنجية في المشرق، وتشمل مجموعة نادرة من أعمال الدفاع كالأبراج المستديرة والجدران والمشربيات والأقبية التي تحت الأرض والزلاقة الخارجية فضلا عن مناعة الموقع العام، وكان يتكون من الحصن (Donjion) ومساكن الإقامة. وكان الحصن عبارة عن برج بسيط مربع الشكل على النمط النورماندي له في غالب الأحيان مدخل واحد مشيد بالحجارة القوية، أما الساحة الداخلية فهي أعلى من الساحة الخارجية ومشرفة عليها ومسيطرة على المهاجمين الذين قد ينجحون في اقتحام السور الخارجي، وبذلك يتهيأ للمدافعين فرصة التحكم في العدو فيقضون عليه.

وتتميز القلعة كذلك بأن مخططها يتألف من حلقتين متحدتين في المركز من التحصينات موصولتين بمدخل طويل منحدر، والحلقة الخارجية مضلعة تتألف من سور يحوى عددا من الشرفات الدفاعية ومقواة بحصون بارزه نصف دائرية، ويحرس البوابة الثانوية الصغيرة في الواجهة الشمالية حصنان بارزان ملاصقان لها تماما، وبالواجهة الشرقية ثلاثة حصون بارزة مستطيلة الشكل صغيرة يحوى أحدها المدخل الرئيسي، أما الواجهة الجنوبية فكانت تتألف مثل الواجهة الغربية من سور واحد تحميه حصون بارزة نصف دائرية وشرفة مكواة متواصلة، وقد زود السور الغربي بالمزاغل التي يبلغ عددها ستة بين كل برجين ويتكون البرج من ردهة مربعة عليها قبو متقاطع وبه مزاغل، ويتقدم السور الغربي دعامات بين المزاغل، (زكي، 1958).

يمكن تمييز ثلاثة طرز رئيسية ظهرت في العمائر ذات الطابع العسكري في الفترة الصليبية الأولى:

الطراز الفرنسي: التي نشأت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر كقلعة حصن الفرسان وطرطوس وتتميز بقلاعها المقامة على المرتفعات في موانع منعزلة تحيط بها أسوار تتبع التضاريس الطبيعية للموقع، أما الجانب الأقل تحصينا من القلعة فكانت ترتكز فيه قوى الدفاع الرئيسية، وقد استخدمت الأبراج المستديرة في هذه الفترة.

الطراز المتأثر بالأسلوب البيزنطي: وتظهر فيه الملامح الخاصة بالقلاع الكلاسيكية والتي تأثر العرب بدورهم بها، ويتميز هذا الطراز بالجدران ذات القطع الحاد أي الملساء الأمر الذي يغنى عن تدعيم الجدران، بالإضافة إلى استعمال الأبراج المربعة، وقد تميزت القلاع ذات الطراز البيزنطي بأنها تتبع المخطط التالي: وجود فناء داخلي محاط بجدار تقوم في جوانبه الأربعة أبراج ويليه حائط داخلي أقل ارتفاعا من السور الخارجي، ويحيط بهذا البناء كله خندق عميق كان يملأ أحيانا بالماء ويتمثل هذا الطراز في قلعتي الوعيرة والحبيس.

الطراز المزدوج: الذي يجمع بين مزايا المدرسة الفرنسية والمظاهر المعمارية الشرقية السابق ذكرها، ويتمثل في قلعتي الكرك والشوبك (مونتريال)، (الكردى، 1974).

وعلى ذلك فقد كانت أسوار القلاع الفرنجية وأبراجها أقوى وأمنع من تلك التي تحيط بالقلاع البيزنطية والعربية السابقة على الدوام، ولا يلاحظ وجود طراز قياسي موحد واضح الملامح بين هذه القلاع في المرتفعات الفلسطينية، بينما تطابق القلاع المعاصرة في المناطق الساحلية المستوية طرازا ثابتا يستند بوضوح إلى التقاليد النورماندية.

ومن المرجح أنها تمثل مساهمة الصليبيين الرئيسية في تطوير العمارة العسكرية في المشرق العربي، وكانت القلاع تتألف كما في شمال فرنسا وجنوب انجلترا من برج متعدد الطبقات منيع هو البرج المحصن (donjion)، (مولر، 1984)، وكان استخدام هذا العنصر في القرن (12م) وتمثل في البرج المركزي المستدير الذي كان في البداية مربع الشكل ويسمى الخزنة (Keep) أي الجزء الأوسط أو الرئيسي في القلعة، وهو أمنع أجزاء القلعة وأقواها، وكذلك الاهتمام الشديد بالأسوار المزدوجة، وبصقل حجارتها كي لا تلتصق بها السلالم وأدوات التسلق التي يستعملها المهاجمون، (الكردى، حنان، 1974). وقد نظر بعين الاعتبار إلى أهمية موقع الحصن، ورؤى أن يقام في أضعف قطاعات السور، وكان قد تحول إلى الشكل المستدير لأسباب منها مقاومة السطح المستدير لطلقات المقذوف بشكل مؤثر، (زكى، 1958). كما تعزز الأسوار في أكثر الأحيان بأبراج زاوية مع خندق عريض (ditch) أو قناة مائية عريضة (tosse)، ومن بينها مثلا تل الصافية وصافيتا وقلعة يحمور، كما كانت تشاد أبراج محصنة من هذا الطراز في القلاع الأكبر (مثل قلعة صهيون).

وتلاحظ أن القلاع التي شيدها الصليبيون في القرن (12م) أخذت في الضخامة ولاسيما حينما بنى رجال الطوائف الدينية قلاعا لهم، أو عندما كانت تؤول إليهم قلاع النبلاء والأمراء، وكانت قلاع تلك الطوائف لا تأوي النساء مع أن مساكن كبار القادة والموظفين (داخل القلاع) اشتملت على جميع وسائل الراحة إلى جانب ما تتطلبه الضرورة العسكرية، (زكى، 1958، 1969).

وما أن توقف مد التوسع الفرنجي الذي جوبه مجابهة حاسمة اعتبارا من منتصف القرن الثاني عشر بتنامي قوة المسلمين حتى أخذت التحصينات الصليبية تفقد دورها الهجومي الذي كان سائدا، وتكتسب طابعا دفاعيا بصورة مضطردة، وكان لابد من تحصين القلاع في المناطق الحدودية أو المناطق الداخلية على وجه الخصوص كما حدث في قلعة صهيون، وتمت تقوية الأجنحة المعرضة منها بجدران متينة وأبراج حصينة بحيث تصبح منيعة على أدوات الحصار المحصنة التي أخذ المسلمون يستخدمونها، (مولر، 1984). وتلك الأبراج القوية كانت تتألف غالبا من طابقين وشرفه (terrace) تعتبر من المتانة التي لم يسبقها مثيل في العمارة العسكرية في القرن السابع عشر، فقد كانوا يشيدون تلك الحصون في بادئ الأمر في أسهل مكان دفاعي في القلعة، ولكنهم بعد التجربة وجدوا أن خير مكان يشيدون فيه هذا البرج هو المكان الذي يتطلب الدفاع فيه أقوى أعمال التحصين، وبناء على هذا الاعتبار وضعت أبراج مربعة منيعة في أقوى أعمال الدفاع في المملكة اللاتينية وهى صهيون والصبيبة، والمباني القوية التي شيدت فيما بعد في الكرك والمرقب، والبرجان الكبيران في قلعة الحاج في أنسب مكان في القلاع أي أشد المناطق خطرا على القلعة، (الكردي، 1974).

وقد شهد منتصف القرن الثالث عشر اهتماما بالتحصينات الفرنجية ومنها التحصينات الرئيسية للمدن، وخضعت لتحسينات مستمرة، فقد كانت المدن تحصن في البداية بأسوار بسيطة تحيط بها إلى درجة تجعلها آمنة ضد أي هجوم مباغت، إلا أن القلعة وحدها هي القوية إلى درجة تكفى لمقاومة حصار فعلي، وكانت الأسوار تحصن بأبراج بارزة (bastion) منخفضة أو أبراج مستطيلة الشكل عادة مقامة بفواصل منتظمة إلى حد ما تبلغ خمسة وعشرين إلى أربعين مترا، وتحف بالأسوار من جهة الخارج خنادق أو قنوات عريضة تملأ بالمياه، وكانت بوابات المدن بصورة عامة جيدة التحصين وغالبا ما تحرسها أبراج ملاصقة لها، أما الوصول إلى الداخل فكان محميا بمنعطف بزوايا قائمه غالبا بالإضافة إلى سلسلة من غرف البوابات التي يمكن أحكام إغلاقها وترمى بالنار من أعلى أو من الجوانب.

كما وجدنا اضمحلال أهمية البرج المنيع والذي كان يتوسط القلاع وكان يحتمي فيه المدافعون حتى اللحظة الأخيرة، فقد اضمحلت أهميته وأصبح لا يركن إليه، ولذلك لا نشاهده في القلاع التي بنيت منذ عام (1200م) فقد أهمل إلى حد ما.

ولقد أثبتت التجربة أن منعة القلاع قد أصبحت حينذاك في سلسلة الأبراج القوية التي تدعم أسوار القلعة، وكل برج منها يقوم فيه رجال بالقتال والدفاع ضد المهاجمين وكان كل جماعة في قلعة مستقلة، وذلك عندما ظهرت عيوب البرج المربع والتي وضحت في حروب الحصار المتعاقبة في الأرض المقدسة، حيث لم يكن مبناه يسمح إلا لحاميه محدودة العدد، ولم يكن باب البرج يسمح للحامية بالانسحاب عندما تضطر الأحوال، كما أنه من المساوئ الفنية التي تلازم كلا من البرج المربع وبرج السور المربع لأنهما معرضان من زواياهما للتدمير، فضلا عن أن شكلهما لا يسمح بوقايتهما التامة بواسطة النيران، (زكى، 1969).

واهتم الصليبيون بوضع سلاسل حديدية تربط بين القلاع عن بوابات المواني، كما في صور وصيدا وجبيل وأبراج الحصار في عكا وبيروت واللاذقية وغيرها، وكان المرفأ ينفصل غالبا عن المدينة بأسوار مانعة، أما الأرصفة فكانت نادرة جدا وكانت السفن ترسو طبيعيا على الساحل الرملي المنبسط أو تلقي مراسيها ضمن المرفأ، واتجه الصليبيون إلى تقويه الجدران الساترة حتى تقاوم القصف أو اللغم (حفر الأنفاق تحتها) أو الهزات الأرضية عن طريق زيادة سماكات البناء وإقامة الأسوار التي تستدق تدريجيا بالارتفاع (جدران الحصون المنحدرة) (Tolos) على الطريقة العربية، واستخدام الأعمدة القديمة كمداميك في داخل الجدران.

وفى الوقت نفسه كانوا يزيدون من مناعة تلك الأبنية بزيادة عدد كوات الرمي فيها، وإقامة طبقات من الشرفات الدفاعية متراكبة فوق بعضها بعضا تخترقها فتحات الرمي، وببناء شرفات بارزة ذات كوى، وكانت الأبراج عادة مستطيلة الشكل إلا أنها أخذت تتحول أحيانا إلى أشكال نصف دائرية اعتبارا من أوائل القرن (13م) مع تقويتها بما يتناسب مع الإجراءات السابقة وتعديلها بحيث يمكن الرمي منها على طول الجدران المجاورة لها، وبحيث يمكنها المساهمة على هذا النحو في تعزيز الدفاع عنها.

وقد ركز المعماريون العسكريون اهتمامهم بشكل خاص على بناء البوابات، كذلك تقويه الجدران، وإقامة الحواجز، وزيادة عدد نقاط الرمي الجانبي في الداخل، وتجنب الأسوار المفردة، وبناء الأسوار المزدوجة عوضا عنها (كما في قلعة الحصن والمرقب)، (مولر، 1984).

وبعد انتهاء الحروب الصليبية كانت الحصيلة التي خرج بها الصليبيون فيما يتعلق بالعمارة العسكرية تتضمن وجوب إقامة خط دفاع ثان ضمن الساحة أو الباحة الرئيسية للقلعة، ووجوب بناء برج محصن أو خزنه تكون هي خط الدفاع والملجأ الأخير في حاله الهجوم، ووجوب وجود أبراج بارزة مستديرة أو مربعة الشكل تتخلل الأسوار الخارجية، (الكردي، 1974).

ويتضح أن الصليبيين جاءوا إلى هذه البلاد حاملين معهم مفاهيم خاصة معينة (بيزنطية ونورماندية وفرنسية) فيما يتعلق بالعمارة العسكرية، ومن ثم خرجوا متأثرين بما في بلادنا من طرز وأنماط خاصة بالمنطقة مخلفين ورائهم قلاعا وحصونا ظهر في معالمها مزيج حضارتين حضارة الشرق (العرب والمسلمين)، وحضارة الغرب (الصليبيين).

لقد انعكست كثير من التطورات المعمارية العسكرية التي انطبعت في البلاد المقدسة على المباني الأوربية، وكان المعماريون الأوربيون يبحثون عن أفضل الأساليب التي عرفت في سوريا كالأبواب ذات المرافق الكثيرة، وكالأبراج المستديرة في السور والحصون الوسطى التي استخدموها في مبانيهم، كما أنه عنى كثيرا بتأثير النيران الجانبية، ثم عرفت السقاطات والمتاريس، ومن ثم سادت في أوربا القلاع المتداخلة الحصون على الأقل لمدة نصف قرن وذلك بعد نجاحها في سوريا على الأساليب التي كانت قد استقرت فيها منذ أجيال طويلة، (زكى، 1958).

3. 4 العصر المملوكي

قام الظاهر بيبرس في عام 669هـ(1271م) بأعمال إصلاح واسعة النطاق أعطت إلى القلعة شكلها الحالي بشكل أساسي. حيث شيد فيها برجين على الجانب الجنوبي. وجرت أشغال لتدعيم التحصينات ببناء الساتر الحجري للأسوار الغربية والجنوبية للحصن الداخلي، وشيدت أبراج دائرية جديدة وسور ثان للحصن الداخلي مزود بالمزاغل بحيث أصبح هناك ممر عرضه ثلاثة أمتار في الغرب ومتر ونصف في الجنوب، ومن ثم أصبحت المزاغل تقع بدخلات. وقام ببناء القسم الشرقي من الحصن الخارجي والذي يضم الاسطبل وقاعة الحراسة والممر الواصل من المدخل إليها والقاعة الواقعة شرقي مدخل الحصن الداخلي. وقام بترميم ما تصدع وتهدم من السور الخارجي حيث أعاد بناء الأسوار الخارجية والبراج النصف دائرية والمدخل الرئيسي.

لذلك فإن ما ذكره ابن شداد من أن للقلعة ثلاثة أسوار صحيح، بينما تذكر جميع المراجع أنه ليس لها غير سورين أساسيين، وهو يقصد بذلك السور الأصلي السلجوقي والسور الثاني الذي أضافه بيبرس إليه ويضم مزاغل ذات دخلات وقد أصبح السوران يمثلان سورا واحدا يخترقه ممر كما سنجد في السور الغربي الذي

يرجع إلى الظاهر بيبرس والذي يشبه سور قلعة رشيد التي جددها الظاهر بيبرس أيضا. كما يستعمل ابن شداد عبارة الباشورية ليشير إلى المدخل الشرقي للقلعة حيث ينحرف الداخل يسارا إلى الممر وهو ما يذكرنا بأبواب مدينة بغداد.

وفي عام (1285م) قام السلطان قلاوون بتشييد البرج المستطيل بالواجهة الجنوبية للسور الخارجي.

وقد أقام المماليك العديد من القلاع لحماية الثغور المصرية والشامية، واختاروا المواقع الحصينة لهذه التحصينات، واستخدموا الأصول القديمة لاستحكاماتهم، فقد عنى الظاهر بيبرس بإنشاء الاستحكامات التي اشتملت على القلاع والمنارات، وقام بإصلاح العديد من تحصينات الثغور الشامية.

وتدل دراسة تخطيط الاستحكامات المملوكية بالثغور أنه حدث تحول في القواعد الهجومية خفيفة التحصين إلى المعاقل الدفاعية الأمنع تحصينا وذلك منذ منتصف القرن (13م)، وكان هناك ميل دائم إلى تعزيز القدرات الدفاعية للقلاع المنفردة، وزاد الاهتمام بتقوية الجدران الساترة التي تعتبر العمود الفقري لأية منظومة دفاعية بحيث تقاوم القصف أو اللغم أو الهزات الأرضية عن طريق زيادة سماكات البناء وإقامة الأسوار التي تستدق تدريجيا بالارتفاع، واستخدام الأعمدة القديمة كمداميك داخل الجدران، (مولر، 1984).

ونجد أن العناصر المعمارية قد تأثرت تأثرا كبيرا بالقلاع الشامية، وبنظره إلى مخطط السور الغربي لقلعة بغراس التي أجرى الظاهر بيبرس بها عده إصلاحات في عام 628هـ (1268م) حيث المزاغل العميقة المستطيلة الشكل والتي تنتهي بفتحات الرمي المثلثة، مما يرجح أن يكون سور القلعة قد أقيم على أساسات ترجع إلى عصر الظاهر بيبرس، (مولر، 1984).

فقد استولى الظاهر بيبرس على قلعة الحصن (حصن الأكراد) في عام 669هـ (1271م) وقام بعملية ترميم واسعة لعناصرها وكذلك تعميرها، أما القطاع الذي تعرض لأكبر تبديل وتعديل على يد العرب فهو الواجهة الجنوبية أو الجبهة الدفاعية الرئيسية للقلعة، حيث استدعت الأضرار الكبيرة التي لحقت بها أثناء الحصار تحصينها بشكل جيد، وكانت هذه الواجهة تتألف في الأصل مثلها مثل الواجهة الغربية الطويلة من سور واحد تحميه حصون بارزة نصف دائرية وشرفة مكواة متواصلة، ويوجد فناء أمامي داخل الحلقة الخارجية للتحصينات وفى الجنوب توجد قناة مائية عميقة قدت في الصخر، (مولر، 1984).

أما القسم الذي تم تعميره فيضم جزء من السور الخارجي يتكون من خمسة أبراج نصف دائرية، ويوجد ستة مزاغل بين كل برجين فيما عدا البرجان الثالث والرابع فيوجد بينهما سبعه مزاغل، ويتكون كل برج من الأبراج الخمسة من دورقاعة مربعة يعلوها قبوان متقاطعان وحولها ثلاثة مزاغل والمدخل والتي تمثل تخطيطا متعامدا، أما المزاغل الثلاثة فكل منها عبارة عن دخلة مستطيلة تنتهي بفتحة الرمي المثلثة، وتشبه مزاغل السور مزاغل الأبراج من حيث التخطيط، ومن أهم معالم هذا السور الدعامات المستطيلة من الداخل التي تحصر بينها وبينه ممرا، وتتشابه كذلك مزاغل السور الجنوبي من الحصن الداخلي ومزاغل القسم الجنوبي من السور الغربي من نفس الحصن مع مزاغل السور الغربي. كما جدد الظاهر بيبرس قلعة شقيف عام 666هـ (1268م)، وتشبه مزاغل السور الغربي منها مزاغل السور الغربي من حصن الأكراد، (مولر، 1984).

ومما لاشك فيه أن الأعمال التي قام بها جلبان الظاهري (الظاهر بيبرس) بقلعة البحر بصيدا، وبصفة خاصة في البرج الكبير الحجم ذو الطابقين والذي يعلوه سطح تحيط به دروة من الأعمال الهامة التي يمكن الاستناد عليها، حيث يتميز هذا البرج بالأقبية المتقاطعة التي تكون سقوفه، وتتميز هذه القلعة أيضا بالبرج الجنوبي الشرقي الدائري الذي يتكون من ثلاثة مزاغل، كما أن السورين الشرقي والجنوبي للقلعة بهما مزاغل مستطيلة تنتهي بفتحة الرمي المثلثة، (سالم، 1958).

وبالعودة إلى قلعة طبراكال (تل حمدون) نجد أصول العناصر التي سبق استعراضها من خلال أعمال الظاهر بيبرس بالشام، فهذه القلعة التي تقع في جنوب تركيا قد احتفظت بأصولها البيزنطية، وتم تحصينها تحصينا قويا في عام 607هـ (1211م) على يد الأرمن، (مولر، 1984).

ونجد تشابها واضحا بين مزاغل هذه القلعة والمزاغل بالقلاع التي قام بيبـرس بترميمها، مما يؤكد أن المزاغل ترجع إلى أصول بيزنطية، وأن بيبرس اعتمد على المزاغل الموجودة بهذه القلاع ولم يضف جديدا إليها، كما زودت الأسوار بأبراج دائرية بها مزاغل ولكنها أصغر حجما حيث نجد أن كل منها بشكل مثلث فقط، ويتكون كل برج من دورقاعة دائرية تفتح منها فتحات مثلثة إلى الخارج، أذن فإن بيبرس قد استخدم أشكال المزاغل بالأسوار والأبراج مما جعل الدورقاعة مربعة حتى تحيط بها المزاغل الثلاثة والمدخل، (مولر، 1984).

وتكرر الحال بقلعة بيلان كاليسي في جنوب تركيا، (مولر، 1984). أيضا حيث نجد أن مزاغل البرج الشمالي تشبه مزاغل أبراج قلاع الشام مع الزيادة في عدد المزاغل لذلك يتأكد أن بيبرس لم يجدد في شكل الدورقاعة، كما أننا نجد بهذه القلعة أبراجا تشبه أبراج قلعة طبراكال.

ومن ذلك يتأكد أن الظاهر بيبرس قد اهتم بالتحصينات اهتماما كبيرا، وأستمد العناصر المعمارية التي استخدمها في التحصينات من العناصر الموجودة، ولكن انتشر استخدامها، فقد كان تطور أنواع السلاح سببا لتوسيع المزاغل كذلك الاهتمام بالأسوار السميكة التي لا يمكن اختراقها أو لغمها أو ضربها بالدبابات (الكباش)، وقد اهتم كذلك بالأبراج الدائرية المدعمة بالمزاغل الثلاثة ويمثل كل منها من الداخل دورقاعة مربعة يعلوها قبوين متقاطعين وتفتح عليها أربعة أجنحة يمثل الأول منها مدخل البرج، أما الثلاثة الباقية فهي المزاغل التي يمثل كل منها دخلة مستطيلة تنتهي بفتحة الرمي المثلثة، كما زودت الأسوار بالمزاغل المتشابهة مع مزاغل الأبراج.

وقد سبق أن رأينا ذلك بقلعة القاهرة التي تتميز أبراجها بالتخطيط المتعامد، ووجدناه أيضا بأبراج بغداد وعلى سبيل المثال الباب الوسطاني حيث يتوسط البرج دورقاعة دائرية تحيط بها ثمانية أجنحة. (حميد، 1988). وسنجد عند دراسة تخطيط قلعة رشيد مدى التأثر بتخطيط هذه القلاع حيث أنها استمدت عناصرها الدفاعية منها كالمزاغل والأبراج.

4. العناصر المعمارية

4 .1 الأسوار والأبراج

كان أهم ما اعتمدت عليه الاستحكامات هو الأسوار التي تمثل خطا دفاعيا متكاملا، وحتى يستطيع هذا الخط أن يحقق مهمته بكفاءة لابد من سهولة تزويده بما يحتاج إليه، وتقوية بعض نقاطه على مسافات مختلفة بأبراج، وكان لابد من سهوله الاتصال بين الجند المدافعين عنه، وتنظيم العمل بينهم بالصورة المطلوبة، وهو أمر استدعى أن يخطط السور بمواصفات وقياسات دقيقة تفي بهذه المتطلبات، وقد انعكست هذه الأمور على عمارة وطريقة أنشاء الأسوار بما اشتملت عليه من عناصر معمارية مختلفة، (عثمان، 1985). ولذلك عني المعماريون العسكريون بالأسوار كأولى الخطوات الدفاعية التي تحمى الاستحكامات، وقد وجدنا أنماطا من الأسوار المحصنة التي أحيطت بالخنادق وألحقت بها الممرات والأبراج المتعددة الأضلاع والمربعة والدائرية والمستطيلة كذلك وجدنا الأسوار السميكة والمزدوجة والمتعددة

والعالية والمزودة بوسائل دفاعيـة كثيرة كالسقاطات والمزاغل، وقد روعي ميل الجدران إلى الداخل وحفر الخنادق حولها حتى لا يتمكن العدو من لغمها أو نقبها، وعنى المعماريون بتدعيم الأسوار بالأعمدة الجرانيتية والرخامية لتقوية الأساسات.

وتتضح فكرة الإعاقة للعدو المهاجم من خلال مانعين أساسيين متمثلين في السور الترابي وفى الخندق الذي يكلف العدو مشقة الهبوط والصعود ويسهل على المدافعين خلف الدراوي الحجرية والتي تمثل عناصر دفاعية أساسية متعددة ومتقاربة، ثم تطور الأسلوب نتيجة التجربة والممارسة فحتى تكون الإعاقة تامة للجيوش المهاجمة وحتى لاتصل بسهولة إلى المدن نتيجة إمكانية تسلق الحصون المتمثلة فى الأسوار الترابية كانت الفكرة في إنشاء حصون عالية يصعب تسلقها بجعلها عمودية تماما عند أسفلها، وكان تحقيق ذلك ببناء السور الذي بني أولا باللبن كما تشهد بذلك آثار العصر الهكسوسي والهيثي والفرعوني، ثم رغبة في زيادة متانته لمقاومة ضربات المهاجمين بنى السور بالحجر، وكان هذا التطوير محققا لإمكانيات أكبر في الدفاع ويزيد من إمكانية الدفاع اختيار موقع مرتفع للمدينة أصلا لتحقق رؤية أفضل، وليمكن من ركوب العدو المهاجم، ثم رؤي أيضا أن يكون لهذا السور موقعا هاما في الهجوم على العدو ولا يقتصر على موقف الدفاع السلبي، وحتى يحقق السور هذا الغرض صمم على أن يكون أعلاه على هيئة ممر أو ممشى يمكن الجند المدافعين من تأدية عملهم بمستو عال ويحقق للجند المشاة أو الركبان رؤية أفضل ومرمى أبعد وأوسع. (عثمان، 1985).

وظهرت الأسوار المزدوجة بحصن هيراكونبولس (الكوم الأحمر) من عهد الأسرة الثانية الفرعونية وتتألف من سورين أحدهما داخل الآخر والسور الخارجي أقل ارتفاعا من السور الداخلي واقل من نصف سمكه، ويتميز السور الداخلي بأنه يتخلل سطحه الخارجي دعامات ويكتنف مدخله برجان متقاربان، [52]، [53]. كما ظهر بشونة الزبيب، وحصن الكاب من الأسرة (6-10) ويفصل السورين فناء، وكان السور الخارجي منيعا يبلغ ارتفاعه (9م) وعرضه (11.5م) وله ممر متسع، وقد اقتصرت الحصون التي أنشئت على الجبال على نظام السور المزدوج. (زكي، 1968).

وقد أحيطت الحصون الأخمينية بثلاثة أسوار الأول ارتفاعه (18م) وسمكه (21.5م) وحائط يحيط بالقلعة ارتفاعه (9م) وسمكه (10م)، أما الحائط الثالث فهو كالأول والمسافة بينهما (24م) كما في أسوار سرجون، (مرابط، 1953).

وأحيطت الحصون الساسانية بسور مزدوج ووراءه خندق كما هي الحال في قصر شيرين، (مرابط، 1953)، وقد ظهرت الأسوار السميكة فسمك سور حصن الكاب الخارجي (11.5م)، [53]، أما حصن سمنه فسمكه (8-9م) من أسفل و (4م) من أعلى، وسمك جدران حصن بوهين (4.80م)، وسمك جدران حصن سيسيبي (4-5م)، (زكي، عبد الرحمن، 1968)، وسمك الأسوار الأخمينية (21.5م) للأول والثالث و(10م) للثاني، (مرابط، محمود فؤاد، 1953). أما أسوار الإسكندرية فسمكها (5م). (الفلكي، 1967). وتميزت الأديرة السورية بأسوارها، [55]، وكذلك الحال بالأديرة المصرية التى كانت أسوارها عالية يصعب تسلقها كما في أديرة وادي النطرون والقديس سمعان بأسوان (شيحة، 1988)، ودير الأنبا بولا بالبحر الأحمر.

وقد روعي في بناء السوار ميل الجدران إلى الداخل وهى ظاهرة نجدها في جميع أبنية قدماء المصريين، ولعلها ترجع إلى أن مواد البناء المستعملة كانت ضعيفة فكان لابد من تقوية الحصن بجعل قاعدته سميكة ما أمكن إذ هي المعرضة قبل كل جزء فيه للهجوم، (زكي، 1968)، وقد ظهر ذلك من بداية الأسرات، كما أن بصور مقابر بني حسن قلاع بجدران سميكة مائلة في جزئها الأسفل مستقيمة في جزئها الأعلى، (شكري، 1986)، وقد كان البيزنطيون، (زكى، 1958). يشيدون القلاع ذات الأسوار المائلة أيضا وأن قل سمك هذه الأسوار.

لقد أحيطت أسوار الحصون بخنادق فيحيط الزاوية الشمالية الشرقية لحصن سمنة الفرعوني خندق عميق، (زكي، 1968). وحفر المعمار الأخميني خندقا بين الحائطين الثاني والثالث لإحباط مساعي العدو في حفر سراديب تحت الأرض ولكسر هجماته أن أفلح في اختراق الحائطين الأولين، (مرابط، 1953).

وقد حصنت الأسوار بالأبراج والدعامات فقد تم تنفيذ دعامات أو أبراج بارزة بالأسوار الفرعونية لتتيح للمدافعين تحت الأسوار مساحة أوسع يستطيعون مراقبة كل من يقترب منه وتصويب سهامهم نحو من يحاول نقبه من الأعداء، (شكري، 1986)، ويعتبر حصن أمبوس (الأسرة 13) المثل الوحيد للتحصينات ذات الأبراج وهى مع ذلك أولية جدا في طرازها المعماري فان البرجين المشيدين في الزاوية الشمالية والجنوبية لا يسيطران على الأجناب المتصلة بها إلا من ناحية واحدة، وبدأت الأبراج تطويرا لفكرة الدعامات كما في حصن سيسيبى والتي يتراوح طولها بين (4-5م) وسمكها (4م)، ووجدت الأبراج الواضحة المعالم والمربعة التخطيط في حصن سمنة وهو أول مثال واضح بالعمارة الفرعونية، (زكي، 1968).

ونجد الأبراج في أسوار سرجون (8 ق.م) وهي على مسافات مضطردة كأنها قلاع صغيرة لرد الجيش المهاجم، (مرابط، 1953). كما نجد الأبراج المستديرة والمربعة بأسوار قصر شيرين في العصر الساساني، (مرابط، 1953). والأبراج المستديرة المختلفة الأحجام في مدينة رداع باليمن، (شيحة، 1987)، وكذلك بأسوار مدينة تنيس الرومانية، (لوبير، وصف مصر). وفى أركان أسوار حصن كراكلا (الحلابات) أبراج مربعة من العصر الروماني، (هاردنج، 1971). وأقيمت بأسوار مدينة رداع، (شيحة، 1987)، أبراج للمراقبة تتخللها فتحات للسهام ومكونة من عده طوابق وحجرات وصهاريج. وقد نفذت ممرات بالأسوار وبصفة خاصة بالقلاع البيزنطية والتي كانت تتميز بأسوارها الغير سميكة (نوعا)، وكانت أبراجها بارزة بروزا ضئيلا وموزعة على مسافات معينة بين كل منها والآخر دروة غير سميكة من الحجارة، الأمر الذي كان من أجله تبنى كوابيل يعتمد عليها ممشى السور، وفي بعض الأحيان كانت تبنى لها سلسلة من العقود الداخلية، (زكي، 1969).

ويرجع السبب في عدم الاهتمام بسمك الأسوار البيزنطية هو الاعتماد على الخندق الكبير الذي يحيط بالقلعة، وكان يتقدمه أكمة من التراب تسمى متراسا واستحكاما ترابيا، وعلى العموم فكانت الحصون البيزنطية تعتمد على عدد من الرجال وعلى الأعمال الدفاعية الخارجية (الخندق والمتراس الترابي) ولا تعنى كثيرا بالموقع المنيع أو بمتانة الأسوار أو بترتيب منسق لاستخدام النيران الساترة، (زكي، 1969).

أما القصور الأموية فقد دعمت أسوار تحصيناتها بالدعامات والأبراج المربعة والدائرية والمستطيلة والمتعددة الأضلاع، ففي قصر الوليد في مينيا أبراج دائرية في الزوايا ونصف دائرية في الأضلاع الثلاثة، [56]. وفى قصر هشام بالحير الغربي نجدها مستديرة ما عدا الزاوية الشمالية الغربية، ودعمت أواسط الجدران بأبراج نصف دائرية ماعدا الشرقي حيث المدخل المكون من برجين نصف دائريين، أما قصبة مريدا (213هـ/828م) فنجد في بين كل برجين منها أبراج أصغر حجما من الأبراج الركنية ويقع المدخل بين برجين نصف دائريين، متأثر بالقلاع البيزنطية (سامح، 1964). كما استخدمت الأبراج المضلعة في البرجين اللذين يكتنفان باب قرطبة بمدينة قرمونة وهما مثمنا الشكل، وتم تدعيم الجدران الخارجية لرباط سوسة بثمانية أبراج نصف دائرية أربعة بالأركان وأربعة بالأضلاع وكلها دائرية فيما عدا أبراج المدخل في الجنوب وبرج الركن الجنوبي الشرقي فشكلها يقرب من المستطيل والأخير استخدم كقاعدة للمنار، ووجدت الأبراج والدعامات الدائرية والنصف دائرية بقصر الخرانة (62هـ/711م)، (شعيرة، 1979)، والطوبة (744م)، والمشتى (744م)، [56]، وخربة المفجر وقصر الحير الشرقي (729م).

لقد تميزت أسوار مدينة بغداد بأنها مزدوجة يبلغ سمك السور (35م) من أسفل و (12م) من أعلى، كما أن سمك السور الداخلي بمدينة الرقة يبلغ (5.85م) والخارجي (4.50م) وعرض الفاصل بين السورين (20.80م)، أما أسوار رباط المنستير، [56]، فهى سميكة ومرتفعة وأسوار رباط سوسة ضخمة يزيد ارتفاعها عن (8م) وتنتهي من أعلى بشرافات ماعدا المدخل (البكرى، 1911)، وقد وجدت الأسوار المزدوجة بمدينة قرطبة، [57]، أما قصبة مريدا فسورها سميك ويتألف من

أعلى من درب يسير على المحاربون وشرافات ودروات يحتمون خلفها، والدروات كتل مخروطية ويتخلل جسم الدروة فتحات تساعد المحارب على النظر إلى أسفل دون أن تصيبه أسهم الأعداء. وقد قصد من الأسوار السميكة كي تساعد على متانة الإنشاء من ناحية، وعلى عدم تمكين العدو من ثقبه بسهولة من ناحية ثانية، ومن ناحية ثالثة يوفر ممشى للجنود في أعلاه. (سالم، 1958).

ويتقدم الأسوار خنادق مملوءة بالمياه كما في مدينة بغداد حيث تحيط بالمدينة بعمق (6م) واتساع مثل ذلك، وكان الخندق يملأ بالماء عن طريق قناة، وأمام كل باب قنطرة لعبور الخندق وبنيت مسناة مجاورة للسور يصعب التسلق عليها من قاع الخندق، أما اتساع خندق مدينة الرقة فيبلغ (15.90م) من أعلاه، (زكى، 1958)، وكان يتم عبور الخندق بقناطر أمام الأبواب تمكن من العبور في حالة السلم وترفع في أوقات الحرب، (عثمان، 1985)، وقد استخدمت الدعامات الدائرية والنصف دائرية في قصر بلكوراه بسامراء، والمسجد الكبير أيضا، وكذلك مسجد أبى دلف، (العميد، 1976)، واستخدمت في المسجد الجامع بقرطبة (169هـ/385م) والجامع الكبير في القيروان (175هـ/773–774م) دعامات مستطيلة ومربعة. وبخان عطشان أبراج ركنية دائرية وأربعة أخرى نصف دائرية بالجدران أما برجا البوابة فهما مربعان بقصر الأخيضر، واستخدمت الدعامات الدائرية في الجامع الكبير ببغداد وكذلك بجامع الرقة وبأسوار مدينه بغداد (113) برجا نصف دائري، [57].

لقد أقيمت أسوار القاهرة باللبن وذلك في عصر جوهر، أما أسوار بدر الجمالي فأقيمت بالحجر والروابط الرخامية وهو أسلوب سبق استخدامه في مدينة المهدية ولم نر مثلا له من قبل ذلك في أسوار المدن، (عثمان، 1985)، كما تم تزويد هذه الأسوار بخطين للدفاع في وقت واحد بعمل خط دفاعي داخل السور بالإضافة إلى الخط الدفاعي أعلاه، كما تميزت الأسوار الفاطمية بزيادة سمكها، وكان بالممر الداخلي مزاغل على جانب وحجرات على الجانب الآخر. واستخدمت الأبراج المستديرة في باب الفتوح وباب زويلة والأبراج المربعة بباب القصر، ونجد أن صلاح الدين أنشأ أسوارا ضخمة لقلعته سمكها (3.0م) وارتفاعها يزيد عن (10م)، ويتخلل الأسوار ممر عرضه (0.90م) يؤدي إلى غرفة ضيقة، (ماهر، سعاد، 1985)، كما كانت أسوار الإسكندرية ضخمة ومزدوجة تعلوها أبراج عاليه، (لوبير، وصف مصر)، ويبلغ اتساع الممر (1.40م) وعرض الجدار الخارجي (1.0م) والداخلي (0.70م)، في حين كان سمك القسم الخارجي من سور قلعة صلاح الدين (1.25م) وسمك القسم الداخلي (0.65م). أما سور قلعة الجندي بسيناء (زكي، 1960)، فيبلغ مترين ويبلغ سمك سور قلعة جزيرة فرعون (1.60م) وتحتوى على ممرات أيضا، (هيئة الآثار المصرية، 1986).

ويتميز سور قلعة صلاح الدين بأن الممر يؤدى إلى غرف ضيقة مربعة طول كل منها (1.5م) وارتفاعها (2.25م) وهو نفس ارتفاع الممر، وقد صممت في الممر نوافذ لإضاءته ومن الخارج ليس بها فتحات فيما عدا فتحات الغرف، أما غرف الأبراج فطول كل منها يزيد عن (4.00م) وتنفتح في كل منها غرفتان جانبيتان، (ماهر، 1985)، على هيئة ذراعين وبكل غرفة منافذ للرماح. وقد أقيم خندق لقلعة صلاح الدين كما أقيم خندق آخر حول مدينة دمياط، [58]. أما أبراج قلعة صلاح الدين فمنها المستدير ومنها المربع فنجد الأبراج المستديرة والنصف دائرية في برج الماطر والمبلط والمقوصر والإمام والرملة والحداد والصحراء. أما الأبراج المربعة فهي برج كركليان والطرفة وهناك برج الصفة وهو مستطيل، أما البرج الواقع شمالي باب رشيد بمدينة الإسكندرية فيجمع الأسلوبين معا حيث نجد أنه يضم أربعة أقسام يمثل القسم الشمالي برجا دائريا، أما القسم الثاني فيشمل حجرتين ويقع جنوبي القسم الأول، ويشمل القسم الثالث حجرتين أيضا ويتقدمها ممر وحجرة أخرى، أما القسم الرابع فيضم برجا مربعا به حجرات لإقامة الحراس، كما نجد في قلعة جزيرة فرعون أبراجا مربعة ذات دورين وأحيانا ذات ثلاثة أدوار.

وقد بالغ الصليبيون في زيادة سمك جدران القلاع وعلى إطالة علوها وذلك لكي تقاوم الهجمات المباشرة والأسلحة الفتاكة ولم يعتمدوا على منشآت الدفاع الخارجية التي تقام أمام القلعة اقتصادا للجند، (زكي، 1958)، وزادوا سمك الأسوار التي تستدق تدريجيا مع ارتفاع السور، (عثمان، 1985)، وتجنب الصليبيون الأسوار المفردة، (مولر، 1984)، واستخدموا الأسوار المزدوجة كما في قلعة الحصن والمرقب. كما اتجهوا إلى تقوية الجدران الساترة حتى تقاوم القصف واللغم وحفر الأنفاق تحتها أو الهزات الأرضية عن طريق زيادة سماكات البناء وإقامة الأسوار التي تستدق تدريجيا بالارتفاع (جدران الحصون المنحدرة - Tolus) على الطريقة العربية، واستخدام الأعمدة القديمة كمداميك في الجدران، ونجد أن أسوار قلعة دمشق يبلغ سمكها (4.90م)، كما تم تحصين قلعة الشوبك، مونتريال (1115) بسور ضخم، (ماهر، 1985)، وكذلك الحال بحصن الكرك بالأردن (1142)، واستخدمت الأسوار السميكة بقلاع جنوب أوربا منها قلعة كيرينا بشمال قبرص. كما كانت الأسوار تحصن بأبراج بارزة منخفضة أو أبراج مستطيلة وتحف بالأسوار خنادق تملأ بالمياه، وكانت البوابات تحرسها أبراج والوصول إلى الداخل كان محميا بمنعطف بزوايا قائمة بالإضافة إلى غرف البوابات التي يمكن إحكام إغلاقها، (زكي، 1969).

ونجد الخنادق بكل من قلعة تل الصافية وصافيتا وقلعة يحمور، (زكي، 1969)، كذلك بقلعة المرقب حيث يفصل القلعة الداخلية عن القلعة الخارجية قناة مائية عريضة، (مولر، 1984)، كما نجد بقلعة الوعيرة خندقا في الشرق عرضه (15م) وفى الشمال خندق في الصخر تنحدر إليه الصخور الملساء، (الكردى، 1974)، ويحيط بقلعة دمشق خندق أيضا، (البنى، 1986)، كذلك بقلعة الشوبك (مونتريال) حيث يجاورها واد عميق يمثل خندقا يعمل على حماية القلعة وسكانها، (ماهر، 1985)، وقد دعمت الأسوار بالأبراج المختلفة الأشكال فمنها الأبراج المستطيلة بالواجهة الشرقية لقلعة الحصن حيث يوجد ثلاثة حصون بارزة مستطيلة الشكل صغيرة يحوي أحدها المدخل الرئيسي، كما أن جميع الأبراج بقلعتي الوعيرة والحبيس، مربعة أو مستطيلة، (الكردى، 1974).

ويوجد بقلعة الوعيرة برج مربع بكل زاوية وفي قلعة يحمور برج مربع في الشمال الغربي والجنوب الشرقي ويتوسطها برج مربع، [59]، وظهرت الأبراج المربعة بقلعة عريمة، [59]، وعجلون بالأردن (1214-1215) وبها أربعة أبراج مربعة لكل منها دورين، وبقلعة جبيل بلبنان بكل ركن من أركانها، (مولر، 1984)، وبقلعة نمرود (بانياس) في الزاوية الجنوبية الغربية، وبقلعة الشوبك (مونتريال) بالأردن، (ماهر، 1985)، وبقلعة الربض بالأردن (1184-1185) وبقلعة دمشق برجان مستطيلان بكل منهما ثلاث طبقات وبكل طبقه خمسة مزاغل، (الكردى، 1974)، وهذه الأبراج ترجع إلى المدرسة ذات الطراز المتأثر بالأسلوب البيزنطي، (البنى، 1986).

أما الأبراج الدائرية والنصف دائرية والتى استخدمت في الفترة الصليبية الأولى والتي تتبع المدرسة الفرنسية الأولى (ق11-12م) كقلعة طرطوس (الكردى، 1974)، وفى قلعة بيلان كاليسي بجنوب تركيا (ق8-10م)، (مولر، 1984)، وقلعة سلوقية بجنوب تركيا (ق8-10م)، (فولفغانغ مولر – فينر، 1984)، وقلعة بغراس بلواء الإسكندرونة (ق10 ق. م)، (مولر، 1984)، وقلعة المرقب بسوريا، (مولر، 1984)، وقلعة صيدا بلبنان (حصن البحر)، (مولر، 1984)، وقلعة الحصن بسوريا (1255م)، وقلعة نمرود ببانياس (1129-1132م)، [60]، وبقلعة الشوبك (مونتريال 1115)، (ماهر، 1985)، وقلعة تل حمدون (طبراكال) بجنوب تركيا، وقلعة كيرينا بشمال قبرص، وبمدينة قبرص وقلعة فماغوستا بشمال قبرص وأسوار المدينة، (مولر، 1984)، وقد تميزت الأبراج بميلها نحو الداخل وعلى سبيل المثال أبراج قلعة الربض، (هاردنج، 1971)، وتتميز أبراج قلعة حصن الأكراد بأن البرج يتكون من ردهة تؤدى إليها مدخل، وبالبرج ثلاثة مزاغل تكون مع المدخل مخططا متعامدا، (فولفغانغ مولر، 1984).

واستخدم الصليبيون الممرات التي تؤدى إلى أقسام القلعة منها قلعة دمشق، (البنى، 1986)، وقلعة حصن الكرك، (ماهر، 1985)، وفي قلعة حصن الأكراد بسوريا عنصر فريد حيث يوجد أمام السور من الخارج دعامات تشكل مع السور ممرا، وهذه الدعامات التي تحدد الممر الذي يتقدم السور بقلعة قايتباي برشيد، وقد

كان لبناء أغلب القلاع على منحدرات جبلية إلا القليل فقد تم تبليط المنحدرات المحيطة بهذه القلاع بالحجارة المستطيلة الشكل، مما يجعل التسلق عليها والوصول إلى القلعة أمر مستحيل ووجدنا ذلك بقلعة الحصن، (الكردى، 1974).

وقد أقيمت الحصون في عهد المرابطين والموحدين ولها أسوار مدعمة بالأبراج التي كانت عادة مستطيلة إلا أنها أخذت تتحول أحيانا إلى أشكال نصف دائرية اعتبارا من القرن (13م) فيما مع تقويتها بما يتناسب مع الإجراءات السابقة وتعديلها بحيث يمكن الرمي منها على طول الجدران المجاورة لها، ويتميز رباط ثيت بضخامة أسواره وارتفاعها (ق6هـ/12م). وقد شيد المرابطون والموحدون الأبراج السداسية الأشكال كالبرج المسدس المنعزل في حصن العقاب (لاسي نافاس دي تولوسا) بالقرب من جيان والبرج (البرانية) وهو تعبير أندلسي بحت عن الأبراج الخارجة عن نطاق السور وما لبث أن شاع هذا النوع في المدن التي تقع على الحدود بين المسلمين والنصارى مثل مينة القصور وبطليوس وبرج الذهب بأشبيلية وفى مدينة (لبلة) برج كثير الأضلاع يعرف باسم برج الذهب، وقد شاعت الأبراج المثمنة كما فى مدينه شريش وشنتمرية كما ظهر البرج المستدير في الأبراج التي تحيط بالبيازين في غرناطة (سالم، 1958. ماهر، 1985).

وراعى المرابطون والموحدون في أسوارهم الإكثار من الزوايا الداخلية والخارجية بحيث تمتد بشكل خطوط متعرجة، وميزة هذا النظام أن يترك الجنود أعداءهم يتقدمون إلى إحدى الزوايا ثم يندفعون عليهم من أعلى السور على الدروب فيفتكون بهم فتكا ذريعا، وقد ظل هذا النوع من الأسوار قائما في أسبانيا حتى أواخر العهد بدولة الإسلام(سالم، 1958).

أما أسوار الاستحكامات المملوكية فنجد استخدام السور المزدوج بمدينة الإسكندرية وكان يتألف من سور أساسي وسور أمامي متأثرا في ذلك بالعمارة البيزنطية والعمارة الإسلامية في الأندلس وبين السورين فناء مكشوف ويتخلل السور ممر ذو قبو اسطواني.

وزادت العناية بالأسوار لتقاوم القصف أو اللغم حيث تمت زيادة سمك الجدران والتي تستدق تدريجيا بالارتفاع مع استخدام الأعمدة الجرانيتية والبازلتية والرخامية لتدعيمها كما حفرت الخنادق حولها.

وقد أحيطت الأسوار بخندق عميق مملوء بالمياه وتتم تغذيه القناة من النيل تفتح على الخندق بقصبة من الحجر، أما عمق الخندق فيبلغ 8 أقدام (2.50م) ويبلغ اتساعه 30 قدما (8.0م)، ويحدده من الخارج جدار سمكه عشرة أقدام (2.7م)، وقد كان الوصول إلى مدخل القلعة يتم عن طريق ممر خشبي يرتكز على جدار يتقدم المدخل يتم رفعه وقت الحصار، وقد سبق أن وجدنا الخندق في الاستحكامات الفرعونية حيث أنه من العناصر الدفاعية الهامة، فوجد في حصن سمنة الفرعوني كما وجد بالحصون الأخمينية، واستمرت الخنادق بالحصون الإسلامية فوجدت بمدينه بغداد ووجدت كذلك المسناة (الرصيف) التي تجاور السور ويصعب التسلق عليها من قاع الخندق، كما أن الخندق ببغداد يستمد مياهه عن طريق قناة كما هي الحال في خندق قلعة رشيد، ووجد الخندق كذلك حول مدينه الرقة.

ووجدت الخنادق حول القاهرة ودمياط وكذلك القلاع الصليبية كقلعة تل الصافية وصافيتا ويحمور والمرقب والوعيرة ودمشق والشوبك (مونتريال)، وقد تم تدعيم أسوار قلعة رشيد بأربعة أبراج دائرية بالأركان تتميز بميلها نحو الداخل أيضا ويحيط بها الخندق والمسناة، وقد وجدت الأبراج الدائرية بأركان الحصون الرومانية والبيزنطية، واستمر استخدامها بالقصور الأموية ومدينة بغداد وخان عطشان وقصر الأخيضر وبقلعة صلاح الدين حيث بدأت تتضح معالمها الدفاعية وضوحا تاما.

كما ظهرت بالقلاع الصليبية كقلعة طرسوس وظهرت بقلعة كاليس بجنوب تركيا وسلوقية بجنوب تركيا وكذلك بقلعة بغراس بلواء الإسكندرونة وقلعة المرقب بسوريا وصيدا (حصن البحر) والحصن بسوريا ونمرود ببانياس والشوبك (مونتريال) وتل حمدون (طبراكال) بجنوب تركيا وكيرينا بشمال قبرص وبمدينة قبرص وقلعة فماغوستا بشمال قبرص وأسوار المدينة، ويدل ذلك دلالة واضحة أن الأبراج المستديرة قد بدأت في التطور منذ العصر البيزنطي، ونجد أن عددا من هذه القلاع يرجع إلى أصول بيزنطية وإلى القرن (8-10م) بصفة خاصة.

وقد وضحت المعالم الدفاعية كذلك بقلعة حصن الفرسان بسوريا (1255م) بأن البرج يتكون من ردهة يؤدى إليها مدخل وبالبرج ثلاثة مزاغل تكون مع المدخل تخطيطا متعامدا، وتتشبه هذه الأبراج إلى حد كبير أبراج قلعة رشيد.

ونلاحظ الأبراج الدائرية بالاستحكامات فى عصر المرابطين الموحدين والتي ازدهر استخدامها منذ القرن (13م). وقد تم تدعيم أسوار قلعة رشيد بمزاغل يتميز كل منها بأنه عبارة عن دخلة نصف مخروطية تضيق نحو الداخل وعليه قبو نصف مخروطي أيضا وينتهي المزغل بفتحة الرمي، وقد وجدت المزاغل بأسوار أغلب التحصينات، ولكن الملفت للنظر هو مدى التشابه بين مزاغل قلعة رشيد والمزاغل الموجودة بقلعة الحصن بسوريا وقلعة بغراس وقلعة شقيف والمزاغل الموجوده بقلعة تل حمدون (طبراكال) جنوب تركيا، ويعود ذلك في رأينا إلى التجديدات التي أجرها الظاهر بيبرس بقلعة الحصن ونقلت إلى قلعة قايتباي برشيد، وهى تتناسب مع سمك الأسوار.

وزودت أسوار قلعة قايتباي بممر داخل السور يتم الوصول إليه بسلم حجري، ويؤدي هذا الممر إلى أدوار القلعة حيث يصعد إلى الدور العلوي من السور والأبراج ثم إلى السطح، ويحوى هذا الممر مزاغل بالسور ويعلوه قبو نصف اسطواني، وتشبه المزاغل بالممر مزاغل الأبراج بالدور العلوي وهى تقع داخل دخلات مستطيلة تنتهي بفتحة الرمي.

ويعود استخدام الممرات داخل الأسوار إلى الحصون البيزنطية التي كانت تتميز بأسوارها الغير سميكة وظهرت بوضوح فى أسوار القاهرة حيث كان بالممر مزاغل وحجرات كذلك بأسوار الإسكندرية وقلعة صلاح الدين وقلعة الجندي بسيناء.

إلا أن أهم ما تتميز به أسوار قلعة رشيد وقلعة الحصن هو ذلك الممر الذي يتقدم الأسوار من الداخل ويرتكز جانبه الخارجي على بائكة تمتد موازية للأسوار تقوم على دعامات مربعة مستطيلة تبلغ المسافات بينها اتساع المزاغل، وقد ساعدت هذه الدعامات والممر في زيادة سمك الأسوار بالأدوار العليا وإيجاد ممر يتقدم المزاغل أيضا.

وقد سبق أن رأينا هذه الظاهرة المعمارية الهامة بالقلاع البيزنطية التي كان يتم فيها اتباع أسلوبين الأول يتمثل في بناء كوابيل يعتمد عليها ممشى السور، أما الأسلوب الثاني فكان يتمثل في بناء سلسلة من العقود الداخلية ترتكز على دعامات وهذه الحالة هي التي وجدناها بقلعة رشيد.

وتنفرد قلعة حصن الأكراد بسوريا بهذا العنصر الفريد حيث توجد أمام السور دعامات تشكل مع السور ممرا، وهذه الدعامات مستطيلة تتقدم كل منها المنطقة المحصورة بين مزغلين.

لقد استخدمت الأحجار في بناء الأسوار إلا أنها من الداخل تنفرد بأنه تم بناءها بالحجر ثم بالطوب، ثم بالحجر مرة أخرى بمستوى أرضية الدور الأول العلوي، كما أنه اتبع في بناء الأسوار بناء وجهي الجدار ثم حشو البناء الداخلي بالطوب والحجر والمونة، كما دعمت الأسوار بالكتل الجرانيتية.

وقد استخدمت الأحجار والطوب بالاستحكامات منذ العصر الفرعوني وتحصينات بلاد الشام ويلاحظ في قصر الحير الغربي استخدام الحجر بارتفاع مترين ثم استخدام الطوب مع العوارض الخشبية بعد ذلك، واستخدمت الأحجار بأسوار الإسكندرية وقلعة صلاح الدين، كما تتميز أسوار تل من عصر المرابطين ببنائها بالحجر

غير المنجور ثم استخدام التابية (Beton) بعد ذلك، (إسماعيل، 1987)، وتتكون التابية من الحمرة والجير وكسرات الفخار والحجارة الصغيرة أو الزلط وتصب في حواجز خشبية كالخرسانة، وهى تتشابه إلى حد ما مع ما تم في قصر الحير مع اختلاف مواد البناء، ونجد أن هذا الأسلوب قد ظهر مره أخرى بقلعة رشيد.

أما استخدام الأعمدة القديمة فيعود إلى الحصون الفرعونية ومنها حصن هيراكونبولس (الكوم الأحمر) والتي تم غرسها بالجدران بحيث لا تظهر سوى رءوسها، وظهرت كذلك بأسوار القاهرة والقلاع المملوكية عامة كقلعة الإسكندرية والفرما والقلاع المملوكية بالشام، وظهرت كذلك بالقلاع الصليبية بالشام.

4.2 المداخل

لقد ظهرت المداخل العالية التي يرتقى إليها بسلالم في برج من عصر الملك زوسر من بداية الأسرات وكان يرتقى إلى مدخله بسلم من حبل إلى نافذة عالية في أعلاه، (شكري، 1986)، وعرف المصريون المداخل ذات المرافق العديدة في شونة الزبيب في الألف الثانية قبل الميلاد، والغرض منه تكبيد العدو المهاجم للحصن أفدح الخسائر في محاولة الانطلاق من باب الحصن ولا سيما في أثناء الظلام أو عند انسحابه عند فشل هجومه، (زكى، 1969).

وفى عصر الملك منفتاح عندما ظهر الخطر على حدود مصر الشرقية والغربية والشمالية كان من نتائج حروب مصر في سوريا أن اقتبس مهندسوهم بعض التأثيرات المعمارية الخاصة بمباني حصون سوريا وجنوب آسيا الصغرى وتتألف من شبكة دفاعية على الأسلوب الكنعاني كما في معبد رمسيس بمدينة هابو، (زكي، 1968)، ويتميز جوسق رمسيس الثالث بأنه عبارة عن بناء على شكل مداخل القلاع وله برجان يتوسطها الباب، وبأعلى الأبراج توجد حليات من الحجر منحوتة على شكل شرفات بيضاوية هي بمثابة المزاغل، (مرابط، 1953).

وتوجد المداخل العالية بالدور الثاني بالحصون بالأديرة ويتم الوصول إليها بسلالم متحركة أو معابر متحركة ترفع بسلالم متحركة كما في أديره وادي النطرون، (ابراهيم، 1979)، وظهر ذلك بأديرة الأردن (ق4م) كما في برج أندروس، [55]، الذي يقع مدخله بالدور الأول علوي بارتفاع (5.60م)، وقد نقله الرومان إلى المباني الحربية في ألمانيا واستمر في المغرب طوال العصر الروماني ومطلع العصر القوطي، وحدث هذا التجديد عند تشييد الجوسق بدير أبو فانيو بطيبة وأبراج دير المحرق بأسيوط وأديره وادي النطرون، [55].

ولم يستخدم الرومان أو البيزنطيون هذا الأسلوب في حصونهم بل أنهم استخدموا المدخل المستقيم الذي يؤدى مباشره إلى فناء الحصن، (زكى، 1969)، ويتم الدخول من الباب إلى ردهة تفتح على الفناء بمدخل يساوي فى اتساعه نفس اتساع الردهة كما في حصن كراكلا (الحلابات) بالأردن، (هاردنج، 1971).

وهناك نوع آخر من المداخل ظهر في الحصون الأخمينية في أسوار سرجون (القرن 8 ق.م)، حيث توجد بأبواب القلاع مداخل عميقة بها ممرات متتابعة لتعطيل العدو في حاله دخول القلعة، ويبلغ عمق المدخل (67م)، (مرابط، 1953).

واستمرت المداخل التي ينحصر كل منها بين برجين في قصبة مريدا التي يبعد برجاها عن بعضهما أربعة أمتار ويفتح المدخل على فناء صغير، (سامح، 1964)، ويلي مدخل خان عطشان دهليز مستطيل يقع على الفناء المكشوف، أما في مدينة بغداد فنجد المداخل المنكسرة، وفى قصر الطوبة مدخلان يكتنف كل منهما برجان مربعان ويؤدى المدخل إلى ردهة مستطيلة تفتح على الفناء بعقد بنفس ارتفاع الردهة، [57].

وفى قصر المشتى نجد المدخل يكتنفه برجان نصف مثمني الشكل ويؤدى الى ردهة مستطيله بها مدخل بنفس اتساع المدخل الرئيسي، ويحيط بمدخل خربة المفجر برجان، ويكتنف مدخل قصر الحير الشرقي برجان ويؤدي إلى ردهة مستطيلة، [57]، تفتح على الفناء بمدخل بدون أكتاف.

ويحيط بمدخل قصر الحير الغربي برجان نصف دائريان، [57]، ويؤدى مدخل قصر الوليد في مينيا (705-705م) إلى ردهة مستطيلة تفتح على الفناء.

وعلى ذلك فقد وجدنا تأثيرات شمال أفريقية وتأثيرات البيزنطية وتأثيرات شرقية حيث أن تخطيط قصبة مريدا متأثر بالقلاع البيزنطية في شمال أفريقية (ق 6-7م) كما في تمجاد وطبنة وستيف، [57]، كما نقل الأندلسيون عن البيزنطيين الأبراج المضلعة أو كثيرة الضلوع.

ومما هو جدير بالذكر أن المداخل المنحنية والتي ظهرت بمدينه بغداد قد سبق ظهورها بمدخل قلعة مدينه أنقره الجنوبي التي شيدها ميخائيل الثالث عام (859م)، ويرجح أن العباسيين قد نقلوا هذا النظام المعماري من إقليم ما وراء النهر حيث شوهد هذا الأسلوب في قلعة جنبس التي بنيت قبل الإسلام، (زكى، 1969)، وقد توقف هذا الأسلوب إلى أن عاد مرة أخرى في القرن الثاني عشر ولكن استمر الأسلوب البيزنطي في المداخل والمكون المدخل فيه من باب يكتنفه برجان ويؤدى هذا الباب إلى ردهة تفتح على الفناء، وما سنراه في القلاع المملوكية، واستمر حتى عصر محمد على بدون استخدام الأبراج.

وقد وجدنا أن لبعض المداخل أبواب حديدية منزلقة تجرى من أسفل إلى أعلى وهى عبارة عن شبكة حديدية ويليها ممر مغطى بقبو وقد فتحت في أعلاه ست فتحات لإلقاء السوائل الساخنة وذلك بخان عطشان أيضا، [55]، وقد كان لمداخل مدينة بغداد أبواب صفحت مصاريعها بالحديد، [55]، وقد استمد هذا الأسلوب من العمارة الحربية الرومانية.

واستمرت المداخل ذات الأبراج والردهة في مدينة القاهرة فنجد أن باب الفتوح (480هـ/1087م) يتكون من برجين مستديرين يتوسطهما المدخل وفى جانبي البرجين طاقتان كبيرتان تدور حول فتحتيهما حلية مكونة من اسطوانات صغيرة وأعلى المدخل كوابيل على هيئه كبش بقرنين وهذا النموذج لا نظير له في العمارة الإسلامية. ويشبه باب زويلة باب النصر من حيث أنه يكتنفه برجان مستطيلان ينتهيان إلى الشكل المستدير وهما مصمتان، ويدخل من البوابة إلى ممر مغطى بقبة منخفضة. أما باب النصر فيكتنفه برجان مربعان يتوسطهما باب شاهق ويبرز البرجان بمقدار (4.5م)، ونجد أن جميع الأبواب مصمتة حتى ارتفاع الطابقين، كما تم مراعاة أن تكون الأبراج بارزة في قواعدها إلى الخارج منحنية انحناء شديدا إلى ارتفاع ملحوظ مما يزيد في ثباتها ومناعتها، ووجد ذلك واضحا في أبراج قلعة صلاح الدين بعد ذلك.

لقد استخدمت الأبواب ذات المرفق في قلعة صلاح الدين ثلاث مرات، وفي قلعة الجندي بسيناء، كما استخدمت في قلعة حلب وقلعة دمشق، وقد انتقل هذا الأسلوب إلى أقصى المغرب في قصبة وادية في رباط مراكش، كما أننا نلاحظ هذا الأسلوب الرائع في حصن الفرسان (الأكراد) بشمال سوريا، (زكى، 1969).

وقد ابتدع المرابطون نظاما للمداخل ذات المرافق يختلف عن نظام المدن البيزنطية ذات العقدين المتقابلين اللذين يفتح أحدهما إلى داخل المدينة والآخر خارجها فهذه الأبواب المبتكرة يمثل الممر الواصل بين فتحتي الباب منحنيا بزاوية منكسرة قائمة في شكل المرفق، وقد أنشأ الموحدون أبوابا ذات مرفقين وأخرى ذات ثلاثة مرافق ولم يسقفوا أجزاء من الممرات الواقعة بين مداخل الأبواب ومخارجها حتى يساعد ذلك المدافعين على قذف المهاجمين بالنبال أو النار الإغريقية، ومن أروع الأمثلة الباقية التي تمثل هذه المراحل باب أغانو بسور مراكش وباب الرواح بسور رباط الفتح الذي يلتوي الطريق بمدخله التواءات أربعة، وباب قصبة رباط الفاتح، (عثمان، 1985). ويتميز هذا الباب وكذلك باب طليطلة بأن كلا منهما له بابان كبيران بعدهما ردهتان تقوم فوق كل منها قبة، (ماهر، 1985)، إلا أن الأسلوب الذي

استمر سائدا في العمارة الحربية في أوربا والشرق عامة، هو أسلوب المداخل التي تنحصر بين أبراج بارزة كما في قلعة الحصن وقلعة القنطرة بشمال قبرص، (مولر، 1984).

أما المداخل المملوكية فقد استمر بقلعة رشيد المدخل المستمد من الأصول الرومانية والذي سبق أن رأيناه بحصن كراكلا (الحلابات) وهو الذي ساد جميع الحصون الرومانية والبيزنطية، ويؤدى المدخل إلى ردهة تفتح على الفناء بمدخل مساو لاتساعها.

4.3 المزاغل

لقد استخدمت المزاغل في جميع الاستحكامات الحربية على مر العصور، وقد وجدت في القلاع الأخمينية، (مرابط، 1953). واستمر استخدامها في القلاع الرومانية والساسانية والبيزنطية والقلاع الإسلامية أيضا، وكان شكل المزغل عبارة عن شق بالجدار يستطيع المدافع من خلاله استخدام وسائل الدفاع ضد العدو المهاجم من خارج القلعة.

وقد استخدمت المزاغل بالأسوار والأبراج على السواء فنجد أعلى واجهة البرجين بباب زويلة ثلاث مزاغل، كما توجد بسور قلعة صلاح الدين وأبراجها فتحات أعدت على شكل مخروطي يبلغ عددها ثلاثة في كل غرفة، أما غرف الأبراج فبكل منها ثلاثة في المتوسط ويزيد هذا العدد ليبلغ ستة في برج الحداد، (ماهر، 1985)، وتسعة في البرج الشمالي الغربي.

وهناك مزاغل بالبرج الواقع شمالي باب رشيد بمدينة الإسكندرية يبلغ عددها تسعـه مزاغل أربعة بالبرج الدائري تقع بدخلات وواحدة بالحجرة الملحقة به بدون دخله، ومزغلان بدخلتين بالحجرة الأولى بكل من القسمين الثاني والثالث وهناك مزغلان بدخلة مشتركه بالجدار الجنوبي للبرج المربع، كما زود البرج الواقع جنوب باب رشيد بالمزاغل أيضا، [58]، كما أن أبراج وأسوار قلعة جزيرة فرعون مزوده بالمزاغل ونجدها في الأبراج في ثلاثة اتجاهات.

لقد كان الصليبيون يزيدون من مناعة الأسوار بزيادة عدد المزاغل فيها ونجد المزاغل منتشرة بجميع الأبراج والحصون والأسوار، فنجد بأبراج قلعة عجلون بالأردن بكل برج مزغلين، [60]، كذلك بقلعة صيدا (حصن البحر) بلبنان، (مولر، 1984)، وقلعة الوعيرة، حيث نجد مزاغل متسعة من الداخل وضيقه من الخارج كما نجد بقلعة الربض مزاغل ذات دخلات، (مولر، 1984)، ونجد في أبراج قلعة تل حمدون (طبراكال) مزاغل تشبه مزاغل الأسوار بقلعة الحصن، (هاردنج، 1971)، والتي سنجدها فيما بعد بقلعة رشيد.

وفى عام (1480م) بدأ ظهور المزاغل المكيفة للمدافع في قلعة بودروم باليونان حيث كيف الجناح المتاخم منها للبحر لتراكيب مدافع فيه وجرت تقويته بحصون بارزه ضخمه منها برج فرنسا وبه مزغلان وبرج إيطاليا وهو مربع وحصن كاريتو، ويلاحظ أن المزاغل تتسع بالخارج وبصفة خاصة بالسور الشمالي وبرج كاريتو، (هاردنج، 1971).

وقد سبق أن رأينا المزاغل التي تم تعديلها لتلاءم المدافع في قلعة رشيد حيث تم توسيع مزاغل الأسوار بالقسم الخارجي منها لتتلاءم مع وضع المدافع التي تم إضافتها إلى القلعة، ونظرا لارتفاع عيارات المدافع بعد ذلك فقد تم رفع الجدران التي تقع بها وتم تنفيذ متاريس منزلقة من الرمال أو الأحجار وهذا ما وجد بقلعة بودروم باليونان، وسنجده فيما بعد بقلاع محمد علي على ساحل البحر المتوسط بوضوح.

ونعود إلى المزاغل بالاستحكامات المملوكية فنجد استمرار الشكل التقليدي للمزاغل المثلثة التخطيط وذلك حتى النصف الثاني من القرن (15م)، حيث تم تغيير أشكالها لتتلاءم مع استخدام المدافع، وقد وجدنا ذلك بقلعة رشيد حيث تم توسيع الفتحات الخاصة بالمزاغل في القسم الخارجي منها وأصبح اتساعها فى المداخل والخارج (0.85م) بينما يبلغ في المنتصف (0.60م).

كما نجد مزاغل قلعة رشيد شكلا نصف مخروطي ينتهي بفتحه المزغل، وقد سبق أن رأينا المزاغل التي تقع بدخلات نصف مخروطيه والتي تسمح بالتحرك في حرية كافية، ويعلو كل مزغل قبو نصف مخروطي (متناقص) قائم على جانبيه في برج الصفة وبرج كركيان بقلعة صلاح الدين.

وتم تغيير مزاغل البرج الشمالي الشرقي عندما أعيد بناؤه إلى الشكل المتعدد الأضلاع وشبه المنحرف بسبب زيادة عدد مزاغل البرج من ثلاثة إلى أربعة، وتشبه هذه المزاغل مثيلاتها بقلعة قايتباي بالسكندرية، كما أن هناك نوعا من المزاغل ألمستطيله التي تنتهي بفتحه مثلثه أيضا بالدور الثاني من قلعتي رشيد والإسكندرية، وقد سبق أن رأينا ذلك بقلاع الشام التي جددها بيبرس كما في قلعة الحصن (حصن الأكراد).

4.4 السقاطات

وهى عبارة عن دروات من الحجارة أو الخشب ذات فتحات تبرز عن الحائط بواسطة كوابيل وتقام فوق أسوار الحصون أو في أعلى مداخلها، ويستطيع الجنود من خلال الفتحات إلقاء المقذوفات أو السائل الحار على الرجال الذين يقتحمون القلعة، وقد ظلت السقاطة مجهولة مدة طويلة إلا أن أقدم سقاطة استخدمت في العمارة هى السقاطة الموجودة بدار قيطة بسوريا وعليها تاريخها وهو (551م)، كما استخدمت السقاطة أيضا فوق أبواب قصر الحير الغربي (109هـ/729م) والذي شيده الخليفة هشام، وكذلك نشاهد في قصر الحير الشرقي (110هـ/731م)، وفى قصر بالميرا الذي يعود إلى هشام أيضا، [62]، من ذلك يتضح أن أصل السقاطات يرجع إلى العصر البيزنطي وهو تحويل لشكل المزغل حتى يتمكن المدافعون التصويب في أكثر من اتجاه على الجانبين وفى المواجهة ونحو أسفل الأسوار.

وظهرت الفتحات التي يمكن من خلالها صب المواد الحارقة على العدو أعلى مداخل القلاع والحصون فوجدت في قصر الأخيضر، [57]، وتوجد في سقف المدخل وتصل إلى أرضية السطح العلوي فوق الباب أو المدخل بحيث يتمكن المدافعون من قذف المهاجمين بالسهام والحراب ورمى القذائف من أحجار وزيت مغلي فوق رءوس الأعداء.

وقد ظهرت هذه السقاطات بمصر بالأديرة فنجد أنه ظهرت سقاطتين بالواجهة الشمالية لحصن أبو مقار وسقاطتين في السور الغربي القديم لدير أنبا بولا وسقاطة في الجدار الشرقي في الحصن الدير المحرق، وكانت تستخدم هذه السقاطات، (ابراهيم، 1979). فى ألقاء الزيوت المغلية على البربر، وتتخذ السقاطات شكلا مستطيلا، وظهرت الشقوق في أبواب مدينة القاهرة والعصر الأيوبي أيضا، [61].

وقد استخدم الصليبيون عنصر السقاطة البارزة ذات المزاغل وأقاموا طبقات منها متراكبة فوق بعضها بعضا تخترقها المزاغل ومنها على سبيل المثال ما وجد بقلعة حصن الكرك وتل حمدون (طبراكال)، كما نقل الصليبيون فكرة السقاطة عن المعماريين العرب بعد مرور عدة أعوام طويلة، فقد وجدت في قلاع جايار (1184م) وشاتيلون (1186) ونوروتيش (1187) وونشستر (1193)، (زكى، 1969)، واستمر استخدامها في جميع الاستحكامات الشرقية والغربية على حد سواء.

وأصبحت المشربيات البارزة من العناصر المعمارية الحربية التي تقوم مقام المزاغل بل يستطيع المدافع من خلالها التصويب إلى جميع الاتجاهات، وقد كان استخدامها نتيجة الخبرة المكتسبة وإدراكا لمواطن القصور في أسلوب التحصين، حيث اتضح أنه كلما أرتفع السور تعسر على المدافعين من فوقه أن يصيبوا هدفا واقعا في تلك المساحة لأنهم مضطرون إلى إلقاء مقذوفاتهم حسب ميل معين لاضطرارهم خلف المتاريس دون التمكن من إلقاءها إلا إذا خرجوا من بين المتاريس، وحينئذ يعرضون أنفسهم لنيران المهاجمين، وهذه المنطقة التي لم يكن يمكن إصابة العدو فيها هي التي سميت بالمنطقة الميتة (Angle Morts) وفى وجودها خطر كبير على كيان أساس السور ولاسيما عندما يتعرض للنقب والثقب بالآلات الثاقبة أو حرق أحجاره، (عثمان، 1985)، فاخترعت السقاطات التي استمر استخدامها ولم نجدها في قلاع محمد على بالساحل، وقد حل محلها استخدام دروات أعلى الأسطح للضرب من خلفها، فلم تعد هناك حاجة إلى إلقاء الزيت المعلى، وقد أدى استخدام البنادق إلى قلة أهمية السقاطات وذلك منذ العصر المملوكي.

4.5 الحواصل

انتشر استخدام الحواصل كمأوى للجنود وتقع بمحاذاة السور الخارجي للقلاع والحصون، وقد استمد ذلك من العمارة الحربية البيزنطية وانتشر في قصور بادية الشام كما في قصر الحير الغربي وقصر الوليد في مينيا، [57]، وتحيط بالفناء، وتقع مداخلها في أواسط الجدران المطلة على الفناء ووجدت كذلك بخان عطشان، [57]، ورباط المنستير.

وقد استمر استخدام الحواصل على هذه المنوال في العديد من الاستحكامات فوجد في قلعة طبراكال (تل حمدون) بجنوب تركيا وقلعة كيرينا بشمال قبرص، (مولر، 1984).

إلا أنها لم تظهر بقلعة رشيد حيث اقتصرت على حواصل البرج الداخلي، وإن كانت هذه الحواصل بنفس تخطيطها المستمد من العمارة البيزنطية وقد عادت إلى الظهور في قلعة محمد على بعد ذلك.

ويظهر في الأعمال التي قام بها محمد علي بقلعة قايتباي بالإسكندرية أنه قام ببناء صف من الحواصل في الشرق والغرب والجنوب وذلك لأقامه الجنود، وهى تتقدم الأسوار الخارجية ويقع بينها وبين هذه الأسوار ممر مكشوف يسمح بحركة المدافع بالمزاغل وتتكون هذه الحواصل من حجرات لها مداخل لا تتوسط الجدران الخارجية ولكنها على الجانب وبجوار المدخل نافذة بالأسياخ الحديدية، ويعلو الحاصل قبو نصف اسطواني وفى الجدار الخلفي نافذة مزغلية للتهوية.

أما قلاع الساحل فقد أقيمت حواصلها ملاصقه لجدار الواجهة ولكل من هذه الحواصل مدخل على الفناء، وقد زودت بالمزاغل، أما أسقفها فمن البراطيم الخشبية، أما حواصل المنطقة الشمالية التي تقع بها المدافع فتعلوها أقبية نصف اسطوانية، وكذلك الحال بالنسبة للحواصل التي أضيفت في الشرق والغرب في عصر إسماعيل.

4.6 البرج الداخلي وبرج المراقبة

وجدنا في حصن الكاب أنه يتألف من بنائين مربعين محاطين بالأسوار أحدهما داخل الآخر، (زكى، 1968)، ووجد بالتحصينات الفارسية الأخمينيين (القرن4-6ق.م) صرح ضخم يتوسط القلعة يعتبر الملجأ الأخير للمدافعين يسمى (donjion)، (مرابط، 1953).

وقد استمر هذا البرج في العمارة البيزنطية، وأحيطت الأديرة السورية بالأسوار حيث كانت الأديرة الملجأ الأخير للسكان وقت الخطر مما يدل على أن الاستحكامات السورية كانت أساسا للاستحكامات المصرية في هذه الفترة والتي قامت على أصول بيزنطيه، (زكى، 1958)، وقد كان هذا البرج عبارة عن بناء مربع أو مستطيل مكون في معظم الأحيان من ثلاثة طوابق تضم عددا من الحجرات وكنيسة وصهريج ومخازن وغيرها، ويعلوه برج صغير للمراقبة (راقوبة) كما في أديره وادي النطرون ودير القديس سمعان بأسوان ودير المحرق بأسيوط، كما استخدم هذا البرج في الاستحكامات الحربية كمخزن للسلاح والعتاد، (شيحة، 1987).

وتضم قلعة رداع باليمن بعض الأبراج للمراقبة تتخللها فتحات للسهام ومكونة من عدة طوابق وحجرات وصهاريج للمياه، (الكردى، 1974).

ويمثل البرج الداخلي مساهمة الصليبيين الرئيسية في تطوير العمارة العسكرية في المشرق العربي، وكانت هذه القلاع تتألف كما هو حالها في شمال فرنسا وجنوب انجلترا من برج متعدد الطبقات هو البرج المحصن، وقد كان استخدام هذا العنصر في القرن الثاني عشر والذي تمثل في البرج المركزي المستدير والذي كان في البداية مربع الشكل ويسمى الخزنة أي الجزء الأوسط أو الرئيسي في القلعة، وهذا الحصن هو أمنع أجزاء القلعة وأقواها ورؤى أن يقام في أضعف قطاعات السور وكان الحصن حينذاك قد تحول إلى الشكل المستدير لأسباب منها مقاومة البرج المستدير لطلقات المقذوف بشكل مؤثر (زكى، 1958).

وتلك الأبراج القوية التي بدأ الصليبيون يشيدونها في صافيتا وكرك مؤاب وصهيون وجبلة وعكا وفى أماكن أخرى كالتي تتألف غالبا من طابقين وشرفة (terrace) تعتبر من المتانة التي لم يسبقها مثيل في العمارة العسكرية، فقد كانوا يشيدون تلك الحصون في القلاع التي تحتاج إلى تقويه أعمال الدفاع ومنها حصون صهيون والصبيبة والمباني القوية التي شيدت فيما بعد في الكرك والمرقب والبرجان الكبيران في قلعة الحاج في أنسب مكان في القلاع أي أشد المناطق خطرا على القلعة، (الكردى، 1974)، وقد ظهر أيضا بقلعة الحصن وهو مربع على النمط النورماندي وله مدخل واحد بالحجارة القوية، (مولر، 1984)، وبقلعة الحبيس والوعيرة بالأردن وفى قلعة بلفور (1140م)، (زكى، 1969)، ويتوسط حصن الكرك برج داخلي، (ماهر، 1985)، وقلعة صافيتا بسوريا، وقد اتخذ هذا البرج شكلا سداسيا في قلعة كليرمونت باليونان، (مولر، 1984)، وقد اضمحلت أهميه البرج الداخلي، (زكى، 1969)، منذ عام (1200م)، وقل وجوده في القلاع منذ هذا الفارغ.

وبعد انتهاء الحروب الصليبية كانت الحصيلة التي خرج بها الصليبيون فيما يتعلق بالعمارة العسكرية تتضمن وجوب إقامة خط دفاع ثان ضمن الساحة الرئيسية للقلعة، ووجوب بناء برج محصن أو خزنة تكون هي خط الدفاع أو الملجأ الأخير في حالة الهجوم، ووجود وجود أبراج بارزة مستديرة أو مربعة الشكل تتخلل الأسوار الخارجية، (الكردى، 1974).

وقد اتضحت عيوب البرج المربع في حروب الحصار المتعاقبة في الأراضي المقدسة حيث لم يكن مبناه يسمح إلا لحامية محدودة العدد ما لم يكن باب البرج يسمح للحامية بالانسحاب عندما تضطر الأحوال، كما أنه من المساوئ الفنية التي تلازم كلا من البرج المربع وبرج السور المربع أنهما معرضان من زواياهما للتدمير فضلا عن أن شكلهما لا يسمح بوقايتهما التامة بواسطة النيران، (زكى، 1969). ومما هو جدير بالذكر أن البرج الداخلي كان نادر الوجود بالقلاع الأرمينية، (مولر، 1984).

ونستطيع أن نذكر أن انتقال تخطيط القلاع ذي البرج الداخلي المحاط بسور مدعم بالمزاغل كان على يد الظاهر بيبرس وقد اتخذ ذلك التخطيط لفناره برشيد، وأن كنا نستطيع أن نقول أن من المحتمل أن يكون قد أجرى تعديلات أو إضافات بموقع فنار الإسكندرية أكثر مما ذكرت المصادر من أنه أضاف مسجدا فقط، وسوف نستند في ذلك على العناصر الدفاعية في عهد بيبرس ومثيلاتها في عهد قايتباي لنتمكن من نسبة كل عنصر إلى عصره بقدر الإمكان.

وقد سبق ظهور البرج الداخلي والبنائين المحاطين بالأسوار أحدهما داخل الآخر بحصن الكاب كما وجد بالحصون الأخمينية واستمر في العمارة البيزنطية والأديرة، وأخذ الصليبيون بقلاعهم بالشام في القرن الثاني عشر، وكان البرج المستدير مستمدا تخطيطه من القلاع الفرنسية والانجليزية بعد أن كان قبل ذلك يتبع التخطيط المربع.

وهذا يعنى أن أصل هذا البرج كان مربعا تحول بعد ذلك إلى التخطيط الدائري في القرن الثاني عشر بالشام مستمدا أصوله من أوربا، وقد وجدناه مربعا بقلعة الحصن التي أجرى بها الظاهر بيبرس بعض الإصلاحات، وهو على النمط النورماندي المستمد من الأصول البيزنطية.

الخاتمة ونتائج البحث

أثبت البحث أن القلعة شيدت على مراحل؛ حيث يعود بناءها إلى الألف الثاني قبل الميلاد في عهد فرعون مصر تحتمس الثالث، وفي أيام رمسيس الثاني تطور الحصن بناء وعمرانا وسمي قلعة شبتون. وقد عمرها اليونانيون وأطلقوا عليها "بيرغس" أي الحصن أو المعقل.

أنشئت القلعة الحالية في العصر السلجوقي، وهناك قسم من الأبنية المشيدة في باق في القلعة الحالية ويضم المباني الواقعة بين المدخل الشرقي للحصن الداخلي وبروز الكنيسة الذي كان يمثل برجا، والبرج الواقع في الشمال الغربي إلى جانب الأسوار الواقعة بينها، وكذلك قسم من السور الواقع جنوبي المدخل حتى البرج الجنوبي الشرقي من الحصن.

كان تخطيط القلعة السلجوقية مكونا من حصن ذي سورين يبلغ الفاصل بينهما عشرة أمتار وعليه ستة أبراج، ويتكون السور الخارجي من المدخل المكون من برجين مربعين بينهما ردهة مقبية ويضم البرجان حجرتين للحراسة وكان الباب الذي يغلق الحصن ينزلق رأسيا، يؤدي المدخل إلى درقاعة متعامدة التخطيط على جانبيها ممران مسقوفان بأقبية متقاطعة حول السور الداخلي وبهما مزاغل.

كانت الواجهة تمتد على جانبي المدخل حيث نجد ثلاثة مزاغل بكل قسم وتنتهي في الشمال ببرج يمثل بروز الكنيسة حاليا وكان يقابله في الجنوب برج آخر في موضع البرج الجنوبي الشرقي الحالي، وقد كان يوجد برج ثالث في الزاوية الشمالية الغربية والزاوية الجنوبية الغربية وبرجان في منتصف السورين الغربي والجنوبي.

كانت المزاغل السلجوقية والصليبية بدون دخلات ولا تعدو أن تكون فتحة ضيقة من الخارج واسعة من الداخل، وهذا يختلف عن مزاغل الصليبيين والمماليك على حد سواء حيث نفذت المزاغل بدخلات.

قام الصليبيون بتوسيع القلعة وتطويرها وبناء عدة أقسام رئيسية فيها، حيث عدلوا في بنائها ووسعوها لتخدم أغراضهم العسكرية، وبدأوا ببناء الأقسام الرئيسية ولم يضيفوا لها سوى السور الخارجي وبعض الأبراج، وأقاموا الكنيسة في موضع أحد الأبراج السلجوقية.

قاموا بأعمار القلعة ببناء حلقة الدفاع الخارجية والجدار المنحدر الضخم في الجنوب والمستودع الكائن خلف الواجهة الجنوبية، وبناء برج القائد في الطابق العلوي وقاعة الفرسان والرواق الذي يتقدمها وقاعة أخرى دائرية في الطابق الثاني من برج القائد في جنوب غرب الحصن، وشيدوا البرج الدفاعي المتقدم عند المدخل الشمالي للقلعة.

قام الظاهر بيبرس بأعمال إصلاح واسعة النطاق أعطت إلى القلعة شكلها الحالي بشكل أساسي، حيث شيد فيها برجين على الجانب الجنوبي، وجرت أشغال لتدعيم التحصينات ببناء الساتر الحجري للأسوار الغربية والجنوبية للحصن الداخلي، وشيدت أبراج دائرية جديدة وسور ثان للحصن الداخلي مزود بالمزاغل. وأصبح هناك ممر عرضه ثلاثة أمتار في الغرب ومتر ونصف في الجنوب، وأصبحت المزاغل تقع بدخلات.

قام بيبرس ببناء القسم الشرقي من الحصن الخارجي والذي يضم الاسطبل وقاعة الحراسة والممر الواصل من المدخل إليها والقاعة الواقعة شرقي مدخل الحصن الداخلي. وقام بترميم ما تصدع وتهدم من السور الخارجي حيث أعاد بناء الأسوار الخارجية والبراج النصف دائرية والمدخل الرئيسي.

ثبت أن للقلعة ثلاثة أسوار صحيح، على عكس ما تذكره جميع المراجع أنه ليس للحصن غير سورين أساسيين، والمقصود بذلك السور الأصلي السلجوقي والسور الثاني الذي أضافه بيبرس إليه ويضم مزاغل ذات دخلات وقد أصبح السوران يمثلان سورا واحدا يخترقه ممر كما سنجد في السور الغربي الذي يرجع إلى الظاهر بيبرس.

كان المدخل الشرقي للقلعة باشوري الشكل حيث ينحرف الداخل يسارا إلى الممر وهو ما يذكرنا بأبواب مدينة بغداد.

المراجع العربية

- ابراهيم، حجاجي (1979). الحصون الدفاعية في الأديرة المصرية، مخطوط رسالة ماجستير، آداب سوهاج، ص ص50-59.
- ابن القلانسي (1975). دائرة المعارف، بيروت،11، ص ص143-147.
- إسماعيل، عثمان (1987). عمارة ومميزات أبواب الموحدين الأثرية وبرباط الفتح، مجلة المتحف، 2/3، ص122.
- البنى، عدنان (1986). قلعة دمشق، مجلة الحوليات الأثرية السورية، دمشق، ص33.
- الجلاد، محمد وليد (1990). قلعة الحصن (حصن الأكراد)- دراسة تاريخية وأثرية.
- حميد، عبد العزيز (1988). التحصينات الدفاعية في بغداد الشرقية، الجيش والسلاح، 3، بغداد، ص376 شكل7.
- زكى، عبد الرحمن (1958). العمارة العسكرية في العصور الوسطى، المجلة التاريخية، 7، ص ص111-123-124-128:132 شكل3-4.
- زكي، عبد الرحمن (1960). قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة، ص ص118-119.
- زكي، عبد الرحمن (1968). الجيش في مصر القديمة، 1، ص ص47-65-69-73-74-81-93. شكل2-3.
- زكى، عبد الرحمن (1969). القلاع في الحروب الصليبية، المجلة التاريخية، 15، ص ص8-56-57-58-59-69-72- 73-74-75-89.
- سالم، السيد عبد العزيز (19 أكتوبر 1958). المساجد والقصور في الأندلس، إقرأ، ص ص132-135-136.
- سالم، السيد عبد العزيز (1968). تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، الإسكندرية، ص ص177-187-180-181.
- سامح، كمال الدين (1964). العمارة في صدر الإسلام، القاهرة، ص ص114-115.

- شعيرة، محمد عبد الهادي (1979). من تاريخ التحصينات العربية في القرنين الأول والثاني للهجرة، دراسات في الآثار الإسلامية، ص439.
- شكري، محمد أنور (1986). العمارة في مصر القديمة، القاهرة، ص ص85-86.
- شيحة، مصطفى (1987). رداع مدينة الآثار باليمن، مجلة المتحف العربي، 2/3، ص104.
- شيحة، مصطفى (1988). دراسات في العمارة والفنون القبطية، هيئه الآثار المصرية - القاهرة، شكل 3-4.
- عثمان، محمد عبد الستار (1985). العمارة الحربية بين النظرية والتطبيق، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، 7، ص ص13-138-139-143-144-148-151-169.
- العميد، طاهر مظفر (1976). العمارة العباسية في سامراء في عهدي المعتصم والمتوكل، بغداد، ص ص23-24-40-46.
- الفلكي، محمود باشا (1967). الإسكندرية القديمة، ترجمة محمود صالح الفلكي، الإسكندرية، ص63.
- الكردى، حنان (1974). القلاع الأثرية في الأردن، الأردن، ص ص2-3-4-10-11. ص14. ص16.
- لوبير، جراتيان (وصف مصر)، ، 2، دراسة عن مدينة الإسكندرية، ص ص40-371.
- ماهر، سعاد (1985). العمارة الإسلامية عبر العصور، جدة، جزءان، ص ص876-871-920-921-923.
- مدفيدكو واوسيبوف، سيرغي وديمتري (2002). سوريا دليل سياحي، ترجمة عياد عيد، دار الينابيع – دمشق، ص ص355-359.
- مرابط، محمود فؤاد (1953). الفنون الجميلة عند القدماء، القاهرة، ص ص10-41-72-90-155-156-272.
- مولر، فولفغانغ – فينر (1984). القلاع في الحروب الصليبية، ترجمة محمد وليد الجلاد، دار الفكر – دمشق، ص ص12-16-20-29-30-31-76-31-76-78-107 شكل5-12-14-15-21-24-25-27-30-31.
- هاردنج، لانكستر (1971). آثار الأردن، تعريب سليمان موسى، ط2، الأردن، ص ص14-191 شكل14-33.
- هيئة الآثار المصرية (1986). قلعة جزيرة فرعون، القاهرة.

REFERENCES

[1] McFarland. Dumper & others (2007). Cities of the Middle East and North Africa: A Historical Encyclopedia. ABC-CLIO.
[2] Kennedy, H. (2007). The Great Arab Conquests: How the Spread of Islam Changed the World We Live in. Da Capo Press.
[3] Carter & others (2008). Syria & Lebanon. Lonely Planet.
[4] Fahlbusch & others (2008). The Encyclopedia of Christianity, 5: Si-Z. Wm. B. Eerdmans Publishing.
[5] Talhami, Gh. H. (2001). Syria and the Palestinians. University Press of Florida.
[6] Wright, C. A. (2003). Little Foods of the Mediterranean: 500 Fabulous Recipes for Antipasti, Tapas, Hors d'œuvre, Meze, and More. The Harvard Common Press.
[7] Commins, D. (2004). Historical Dictionary of Syria: 2nd Edition. Scarecrow Press.
[8] Carter, Terry; Dunston & others (2004). Syria & Lebanon. Lonely Planet.
[9] Room, A. (2006). Placenames of the World: Origins and Meanings of the Names for 6,600 Countries, Cities, Territories, Natural Features, and Historic Sites.
[10] Baylson, J. C. (1987). Territorial Allocation by Imperial Rivalry: The Human Legacy in the Near East. University of Chicago, Dept. of Geography.
[11] Seale & others (1990). Asad of Syria: The Struggle for the Middle East. University of California Press.
[12] Shatzmiller, M. (1994). Labour in the medieval Islamic world. BRILL.
[13] Gil, Moshe (1997). A History of Palestine, 634-1099. Cambridge University Press.
[14] Winckler, O. (1998). Demographic developments and population policies in Ba‘athist Syria.
[15] Cleveland, W. L. (2000). A History of the Modern Middle East: 2nd Edition. Sussex Academic Press.
[16] Ball, W. (2000). Rome in the East: The Transformation of an Empire. Routledge.
[17] Mannheim, I. (2001). Syria & Lebanon Handbook: The Travel Guide. Footprint Travel Guides.
[18] Beattie & others (2001). The Rough Guide to Syria. Rough Guides.
[19] Besant, W. (1881). The Survey of Western Palestine: Special Papers on Topography, Archaeology, Manners and Customs, Etc. The Committee of the Palestine Exploration Fund.
[20] le Strange, G. (1890). Palestine Under the Moslems: A Description of Syria and the Holy Land from A.D. 650 to 1500. Committee of the Palestine Exploration Fund.
[21] Cook, Th. (1907). Cook's Handbook for Palestine and Syria. Thos. Cook & Son.
[22] Herbermann, Ch. G. (1913). The Catholic Encyclopedia: An International Work of Reference on the Constitution, Doctrine, Discipline, and History of the Catholic Church. Universal Knowledge Foundation..
[23] Shaw, E. K. (1977). History of the Ottoman Empire and Modern Turkey. Cambridge University Press.
[24] Rey (1871). Étude sur les monuments de l’architecture militaire des croisés en Syrie, Paris, pp.39-46-65-67,
[25] Berchm, M. V. – Fatio. Voyage, 1, pp.135-163.
[26] Deshamps, Chateaux, 1, constaining full bibliographiecal data, Fidden – Thomson, pp.76-82, pls.38-50.
[27] Lepage, J.(2002). Castles and Fortified Cities of Medieval Europe: An Illustrated History, McFarland, p.77.
[28] Healy, M. (1993). Qadesh 1300 B.C, Clash of the Warrior Kings. Osprey Publishing.

[29] Moritz Sobernheim. Mémoires publiés par les members de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, sous la direction de M. É. Chassinat, 25.
[30] Van Berchem, Max (1909). Matériaux pour Un Corpus Inscriptionum Arabicarum, 2, Syrie du nord, par Moritz Sobernheim, 1, le Caire, pp.15-16-64-69.
[31] Van Berchem, Max (1902). Journal Asiatique. XIX, p.446 et suiv.
[32] Moritz Sobernheim. Mémoires publiés par les members de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, sous la direction de M. É. Chassinat, 25, p.15.
[33] Deschamps, P. (1964). Terre Sainte Romane, Yonne - La Pierre-qui-Vire, Zodiaque.
[34] Biller, T. (2006). éd. Der Crac des Chevaliers, die Baugeschichte einer Ordensburg der Kreuzfahrerzeit, Schnell & Steiner – Regensburg.
[35] Roehricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, p.787, note 2.
[36] Moritz Sobernheim. Mémoires publiés, 25, p.18.
[37] Albright, W. F. (1936), Archaeological Exploration and Excavation in Palestine and Syria, 1935, American Journal of Archaeology (Archaeological Institute of America, 40 (1): 154–167.
[38] Kaufmann J.E and H.W. Kaufmann (2001). The Medieval Fortress. Cambridge, MA. Da Capo Press. Sahner, Christian C. (31 Jan 2009). A Medieval Castle in the Middle East, the Wall Street Journal.N.
[39] Roehricht, Geschichte des Königreichs Jerusalem, pp.954-955, notes 2 et 3;
[40] Max von Oppenheim, Inschriften aus Syrien, Mesopotamien und Kleinasien, Arab. Inschriften bearbeitet von Max van Berchem, 10.
[41] Moritz Sobernheim. Mémoires publiés par les members de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, sous la direction de M. É. Chassinat, 25, p.17.
[42] Albright, W. F. (1936), Archaeological Exploration and Excavation in Palestine and Syria, 1935. American Journal of Archaeology, Archaeological Institute of America, 40 (1): pp.154–167.
[43] Cathcart King, D. J. (1949), The Taking of Le Krak des Chevaliers in 1271, Antiquity 23 (90): pp.83-92.
[44] Smail, R. C. (1973). The Crusaders in Syria and the Holy Land, London: Thames and Hudson.
[45] Setton, Kenneth M.; Hazard, Harry W. (1977), A History of the Crusades: The Art And Architecture of the Crusader, Madison: University of Wisconsin Press.
[46] Folda, Jaroslav; French, Pamela (1982), "Crusader Frescoes at Crac des Chevaliers and Marqab Castle", Dumbarton Oaks Papers (Dumbarton Oaks, Trustees for Harvard University) 36: pp.177–210.
[47] Moritz Sobernheim. Mémoires publiés par les members de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, sous la direction de M. É. Chassinat, 25, p.16.
[48] Terry Carter, & others (July 2008), Lonely Planet Syria and Lebanon, 3rd ed., pp.133-35.
[49] Norwich, J. ed. (1975). Great Architecture of the World. London: Mitchell Beazley Publishers, p.108. Reprint edition: Da Capo Press, April 1991.
[50] Stierlin H. (1977). Comprendre l'Architecture Universelle 1. Paris: Office du Livre S.A. Fribourg, p.170.
[51] Fletcher B. (1987). A History of Architecture. Boston: Butterworths, p356.
[52] Quibell, J. E. Hierakonopolis, p.19.
[53] Petrie, F. The Royal Tombs, II, p.V.
[54] De Villard, Monneret (1928). Deyr el Muharraqh, Milan, pp.31-33-34.
[55] Creswell, (1952–1959). Early Muslim Architecture, II, oxford, pp.33-35-57-61-181-102, figs.15-16-19-22-26-30-33-35-38-40-44-46-50.
[56] Comite de consereation des Monument de L'Art Atabe, (1912). pls.17-22.
[57] Deschamps. Chateaux, I. pp.49-57-154.
[58] Johns, C. N. Medieval Ajlun Quarterly, I, p.21.
[59] Creswell, Muslim Architecture of Egypt, p.336. pl.54 C-56A-B.
[60] Creswell, A Short Account of Early Muslim Architecture, p.121-122.
[61] Schlumberger. Deacriptien in Syria, XX, pp.366-372.